

الخطب الدينية المنبرية

ألقاها

د . محمد فرمان الندوي

الناشر

مكتبة الشباب العلمية ، لکناؤ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ الموافق ٢٠١٦ م

الطبعة الثانية

١٤٤١ هـ الموافق ٢٠١٩ م

الكتاب : الخطب الدينية المنبرية
جمع وترتيب : عبد الحنان الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم
كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :
فهذه عدة خطب أُلقيت من منبر جامع ندوة العلماء ، لکناؤ (الهند) ، في أيام الجمععات المبارکات ، وصلاتي عيد الفطر وعيد الأضحى ، وهي مشتملة على موضوعات إصلاحية ، ودينية وتربوية ، وزاخرة بالمواد الموثوق بها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

إن صاحب الخطب الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي ، وهو من العلماء الشباب في ندوة العلماء ، ألف عديداً من الكتب باللغتين العربية والأردية ، ونقل بعض كتب الإمام الشيخ السيد أبي الحسن الحسيني الندوي ، والعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي (رئيس ندوة العلماء) إلى العربية ، وبلغت مؤلفاته إلى ما يقارب ثلاثين كتاباً ، وهو أستاذ تفسير القرآن وعلومه والأدب العربي والنقد والبلاغة بجامعة ندوة العلماء ، ومدير التحرير لمجلة البعث الإسلامي ، ولا يزال يقوم تحت إشراف سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (إمام وخطيب جامع ندوة العلماء ومدير دار العلوم لندوة العلماء) بالإمامة والخطابة في جامع ندوة العلماء ، ولاسيما حينما يكون سعادته في الرحلات الدعوية في الهند وخارجها ، فينوب عنه في صلاة الجمعة .

وقد اجتمعت لديه خطب صلاة الجمععات ، وهي خطب استمع إليها المصلون من الأساتذة والطلاب وعامة الناس برغبة

وشوق ، فنظراً إلى أهمية صلاة الجمعة وعظمة خطبها نهتم بطباعة هذه الخطب من مكتبة الشباب العلمية ، ذلك لأن أئمة المساجد والجوامع قد اشتغلوا بإلقاء خطب يوم الجمعة التي لا ورح فيها ولا حياة ، رغم أن خطبة صلاة الجمعة درس أسبوعي لكل مصلّ يؤدي صلاة الجمعة ، وقد كان النبي صلى الله عليه يخطب يوم الجمعة على موضوعات جديدة مهمة ، ودأب كبار الأئمة والعلماء إلى يومنا هذا ، لكن تعود علماء شبه القارة الهندية منذ عصر الانحطاط وزمن التصنع والافتعال على أن يخطبوا خطبة مسجعة ومفقاة، وهناك عدة مجاميع من الخطب في الهند : خطب الشيخ إسماعيل الشهيد ، وخطب الشيخ أشرف علي التهانوي وخطب العلامة عبد الحي اللكنوي وغيرها ، لكن كانت الحاجة ماسة إلى أن تكون هناك مجموعة خطب تتناول جميع الموضوعات الدينية والإصلاحية ، فهذه المجموعة (الخطب الدينية المنبرية) خير نموذج لها ، نهئى الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي على تقديم هذه الهدية الغالية إلى أهل العلم والدين ، وندعوله بالخير والبركة .

ويسر مكتبة الشباب العلمية ، لكتاؤ (الهند) أن تنشر هذه المجموعة بطباعة أنيقة جميلة ، ندعو الله تعالى أن يسدد خطانا ويكرمنا بفضله وكرمه ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبها بقلمه

هاشم نظام الدين الندوي

٢٠ / ١ / ١٤٤١ هـ

مدير مكتبة الشباب العلمية ، لكتاؤ (الهند)

٢٠ / ٩ / ٢٠١٩ م

المقدمة

بقلم: فضيلة الشيخ عبد النور بن أحسن بشاغة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله

وصحبه ومن والاه، أما بعد!

فقد قال الله تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ" [الحشر: ١٨].

ها أنا ذا ثانية^(١) أقدم لإحدى كتابات الشيخ الأستاذ الخطيب محمد فرمان الندوي، على الرغم من إقراري بزهد بضاعتي وقلة زادي، أمام ما حباه الله من فضل، فهو الأديب صاحب القلمين، والفارس صاحب الصولتين في اللغتين: العربية والأردية، الذي يدغدغ أسماعنا بنخطبه القوية أيام الجمععات المباركات، سواء على المنبر (بالعربية) أو في الدرس (بالأردية)، وأنا العربي الذي لا يجيد

^(١) وقد قدّم الشيخ عبد النور لكتاب: مجموعة من النظم أيضاً الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه كاتب هذه السطور، وطبع الكتاب من المكتبة الندوية، ندوة العلماء، لکناؤ (الهند) عام ٢٠١٥م.

الأردية، فلا يزال درسه بهذه اللغة بمناسبة صلاة عيد الفطر، يتردد صداه في أعماقي، مما خلفه من أثر كان ظاهراً على وجوه المصلين وكان حاضراً في داخلي (على الرغم من أنني لم أفهم غاليته).

فحري بأحد فرسان الخطابة في مسجد ندوة العلماء (منارة العلم والعلماء في الهند) أن يكون المبادر إلى استلال سيف قلمه، والخوض في أعماق هذا البحر الواسع العميق، والفن الرائع الماتع وأن يسهم بفيض قلمه في إثراء مكتبة الإسلام.

فجزاه الله عنا خير جزاء، وألحق الأجر والفضل لشيخه وشيخنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (فهو المربي والأب والأستاذ).

الفقير إلى عفوره

أخوكم في الله

أبو عبيد الله عبد النور

١٤٣٨/١/١٦ هـ

ابن أحسن بشاغة، الجزائري

٢٠١٦/١٠/١٦ م

بين يدي الخطب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد!

فهذه عدة خطب، ألقيتها من على منبر جامع ندوة العلماء في
فترات مختلفة بفضل الله تعالى ومنه، وقد اشتملت هذه الخطب على
موضوعات دينية، استمعها الحضور بكل رغبة وشوق، وأبدى
انطباعاته بعد الفراغ من صلاة الجمعة مباشرة، والله الحمد والشكر.

إن الاهتمام بإلقاء الخطبة يوم الجمعة ليس يدعاً من الأمر، بل
جرت السنة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله
عليه وسلم يلقها يوم الجمعة تعليماً للصحابة، وذكراً لله سبحانه
وتعالى، وفاتحةً لصلاة الجمعة، وقد جمعت خطبه ومواعظه صلى
الله عليه وسلم في كتب ومؤلفات، فحفظها ورددها الخلفاء والخطباء
الذين أتوا بعده، وجعلوها نبراساً لخطبهم.

أشعر ببالغ الغبطة والفرح على تقديم هذه المجموعة القصيرة
للخطب إلى الإخوة المسلمين، رجاء أن يجدوا فيها شيئاً ينفعهم نحو
بناء حياتهم في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي، فأنا إذ أقدم
هذه العجالة لا أنسى تشجيع سعادة أستاذنا الأديب الخطيب
الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (إمام وخطيب جامع ندوة العلماء

منذ أكثر من ستين سنة)، على أنه وفرّ لنا فرصاً لإلقاء خُطب الجمعة أثناء رحلاته الدعوية إلى داخل الهند وخارجها، فله الشكر الجزيل والثواب الوفير عند الله عزوجل إن شاء الله تعالى.

وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الراجعي إلى عفوره

محمد فرمان الندوي

معهد القرآن الكريم

ندوة العلماء، لکناؤ

١٤٣٨/٣/٢٥ هـ

٢٠١٦/١٢/٢٥ م

يوم الجمعة عيد الأسبوع

إِنِ الْحَمْدَ لِلَّهِ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبْرُوكًا فِيهِ، نَحْمَدُهُ عَلَى جَزِيلِ نِعَمَائِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَمِيعِ آلَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَبَارَكَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إلى الحسنات، يقول الله عز وجل: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: ١١٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ شَوْوَنًا، فَإِنَّهُ أَطَالَ أَعْمَارَ الْأُمَّمِ إِلَى سَنَوَاتٍ طَوَالٍ، بَلْ إِلَى قَرْنٍ أَوْ قَرْنَيْنِ أَوْ قُرُونٍ، فَهَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ عَاشَ اثْنَيْ عَشَرَ قَرْنًا، وَهَذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ عَاشَ قَرْنًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ عَاشَ إِلَى قَرْنٍ وَنِصْفٍ تَقْرِيْبًا، فَالْأُمَّةُ الْمَحْمُودِيَّةُ جُعِلَتْ أَعْمَارُهَا مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ قُرْبَاتٍ وَعِبَادَاتٍ،

تستطيع أن تبلغ درجة عبادات الأعمار الطويلة، فليلة القدر هي خير من ألف شهر وضعت لهذا الغرض، والليالي العشر من شهر ذي الحجة قدرت له، ويوم الجمعة الذي هو سيد الأيام خصص بهذا.

أيها الإخوة المؤمنون! هذا اليوم يوم الجمعة، وهو أفضل أيام الدهر، وهو عيد الأسبوع الديني يجتمع فيه أهل الإسلام لذكر الله عز وجل وطاعته، وهو يوم ضل عنه اليهود والنصارى، بحيث كان لهم يوم السبت والأحد، وللمسلمين يوم الجمعة، وقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن خصائصه فقال: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة^(١)، وقد خص الله عز وجل يوم الجمعة بصلاة الجمعة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [الجمعة: ٩].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه^(٢)، من خصائص هذه الصلاة الثواب الخاص في المشي إليها، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن

(١) رواه مسلم رقم الحديث: ٨٥٤.

(٢) سنن أبي داود / الصلاة (١٠٥٢)، سنن النسائي / الجمعة (١٣٦٩)، سنن ابن ماجه / إقامة الصلاة (١١٢٥)، مسند أحمد (٤٢٤/٣)، سنن الدارمي / الصلاة (١٦١٢)، سنن الترمذي (٥٠٠).

راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرَّب كِبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب ذجاجةً، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرَّب بيضةً فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر^(١)، ومن خصائصه تقدُّم خطبتين تتضمنان موعظة الناس، ويلزم سماع خطبتين لكل من يصلي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تكلم يوم الجمعة، والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له الإمام: أنصت ليس له جُمعة.

أيها الأخ المسلم! لا تُكلم أحداً، والإمام يخطب، لا بسلام، ولا يردُّ سلام، ولا بتشميت عاطسٍ ولا غير ذلك.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن يومكم هذا يومٌ عظيمٌ، وفي هذا اليوم ساعة لا يُوافقها عبدٌ مسلمٌ، فيسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه، وأرجى الساعات لإجابة الدعوات ساعتكم هذه بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة، وأكثروا في هذا اليوم من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: أكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةٌ عليّ^(٢).

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) صحيح البخاري / فضل الجمعة (٨٨١)، صحيح مسلم (٨٥٠).

(٢) رواه أبو داود: رقم الحديث (١٠٤٧).

التوحيد أساس الدين

إنَّ الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وبارك وسلِّم تسليماً كثيراً كثيراً، أما بعد:

فيأيتها الإخوة المؤمنون! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بإخلاص العبادة لله عز وجل، لأن الله يقول: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ" [البينة: ١٥].

أيها الإخوة المؤمنون! إن أول ما يُطالب به الإنسان في هذا الكون هو إفراد الله بالعبادة، فالتوحيد أساس الدين، ودعامة الإسلام، عليه يقوم صرح الدين، وتصحُّ معه الأعمال، والتوحيد

ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن توحيد الربوبية هو توحيد الله في أفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والملك والتدبير، بمعنى أن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت، لا راداً لقضائه ولا معقّب لحكمه، وقد قال الله عز وجل: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" [الأعراف: ٥٤].

وإن توحيد الألوهية هو إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائناً من كان، كما قال الله: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" [الإسراء: ٢٣]، وقال: "وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" [النساء: ٣٦]، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا إيماناً بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، يقول الله عز وجل: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [الشورى: ١١].

أيها الإخوة المؤمنون! إن إفراد الله بالعبادة واجتناب الطواغيت والأصنام هو الغاية القصوى، لذلك خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرُّسل من عهد نُوح إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ" [هود: ٢٥ - ٢٦]، وأمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" [آل عمران: ٦٤]، فاهتم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر التوحيد اهتماماً بالغاً، وعظَّم شأنه لكونه أساس الدين وأصله، فقال في حديث رواه الشيخان: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

إنكم إذا رأيتم إبرةً، فأيقنتم أن لها صانعاً، فكيف بهذا الكون الذي يدهشُ العقولَ ويحيرُ الألبابَ، قد وُجد بلا مُوجد، ونظم بلا مُنظم، وكل ما فيه من نجومٍ وغيرها، وبُرُوقٍ ورُعُودٍ، وقفارٍ وبحارٍ، وليلٍ ونهارٍ، وظلماتٍ وأنوارٍ، وأشجارٍ وأزهارٍ، قد

(١) رواه البخاري: ٢٥، ومسلم: ٢٢.

وُجِدَتْ بِلَا مُوجِدٍ؟ كَلَّا! لَا وَاللَّهِ!!

فلا بد من الاعتقاد أن الله هو الخالق والرازق والمحي والمميت والمعزّ والمذلّ، والمرضّ والشافي، وهو المستحق لأن يُعبد، فلا يجوز لأحد أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله من الدعاء والاستعانة والذبح والنحر وما إلى ذلك، يقول الله عز وجل: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [الأنعام: ١٦٢].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الإيمان والإسلام

إنَّ الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، هو الذي خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تموتون ، وهو الله في السموات وفي الأرض ، يعلم سرَّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون . أشهد أن لا إله إلا الله ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن نبينا ورسولنا وحبيبنا وريبع قلوبنا وجلاء عيوننا وشفيعنا وشفاء صدورنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً . أما بعد :

فيا أيها الناس ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، لأن التقوى تشحن بطارية القلب ، وتُنشِّطُ النفس ، وتحمل الإنسان على المخاطرة والمجازفة ، فالتقوى أمثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وحقيقة التقوى أن يُعبد فلا يُعصى ، وأن يُطاع فلا يُكفر ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وقد بيّن المفسرون العظام درجات التقوى ، فقالوا : للتقوى ثلاثُ درجات ، أولاً : ترك الشركيات والصنميات ، وثانياً : ترك البدع والخرافات والتقاليد الموروثة المتبعة في المشتبهات الإنسانية ، ثالثاً : ترك كل ما نهى الله عنه ، لذلك ركز الله على هذا

الجانب المهم فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢].

أيها الإخوة المؤمنون: إن هناك نظامين إلهيين، وظاهرتين ربانيتين، لا تختلفان باختلاف الزمان والمكان، ولا تبدلان بتبدل الطقوس والأجواء، أولهما نظام الفطرة بجمالها وبهائها، وظاهرة الطبيعة الكونية برونقها وبهجتها، ففي الظاهرة الطبيعية بساتين ورياحين، أشجار وأزهار، رمال وعشاء، وحدائق غناء، وفي هذا النظام الطبيعي طلوع الشمس وغروبها، وشروق النجم وأفوله، واختلاف الليل والنهار، وهبوب الرياح ووقوفها، هذه ظواهر وحقائق ساطعة واضحة نيرة، كأنني أنظر إلى مخايل صورتكم وأسارير وجوهكم. لعلكم تساءلون ما هي الآيات التي أقسم الله فيها بهذه الأشياء فاقراءوا إن شئتم: "وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَاهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا" [الشمس: ١ - ٧]، وقال: "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّايِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّايِحَاتِ سَبْحًا فَالْمُدَبَّرَاتِ أَمْرًا" [النازعات: ١ - ٥]. تجدوا أن المدلول الحقيقي من هذه الأقسام في القرآن أن هذه الأشياء تشهد شهود عيان على قدرة الله عز وجل - وتعترف بوحدانية الله وألوهيته وربوبيته من غير تمثيل ولا تجسيم ولا تعطيل وتكييف - لكن الإنسان على هذه الكوكبة الأرضية لكفور وكنود وجاحد لنعم الله تعالى. فلو سرح

هذا الإنسانُ الطرفَ ، وأجال فكره إلى هذا الكون لوجد أن كل شيء من هذه الأشياء المادية يقول بلسان حاله :

ولله في كل تحريكة وفي كل تسيحة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والنظام الثاني هو النظام التشريعي ، والنظام القانوني ، هذا النظام يحمل في طياته ويكمن في غضونه ويخفي في أغواره كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان : الإسلام والإيمان اللذان يبينان أن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، فالإسلام أس الحياة وأساسها ، ودعامتها وقائمها ، فقد وردت كلمة الإسلام في القرآن ثماني مرات : مرتين في آل عمران ، ومرة في المائدة ، ومرة في الأنعام ، ومرة في سورة التوبة ، ومرة في الزمر ، ومرة في الصف ، ومرة في الحجرات ، وكلمة الإيمان اثنتين وأربعين مرة ، إنهما توأمان شقيقان عند بعض العلماء ، ومختلفان منوعان ذوا مدلولين عند الجمهور ، يقول الله عز وجل : "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [الحجرات : ١٤] ، ودليل الفريق الأول "فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" [الذاريات : ٣٥ - ٣٦].

إخوتي وزملائي ! إن معنى سلّم كما ذكر الإمام الأصفهاني هو التعرّي من الآفات والعاهاث ، والإسلام معناه الخضوع والاستسلام والانقياد والركون والميلان ، فلو طبّقنا هذا المعنى على

موجودات الكون لوجدنا الأشياء الفطرية كلها مُسلمة ومنقادة
ومسبحة لله عز وجل ، فالشمس مسلمة ، والقمر مسلم ، والسموات
مسلمة لأنها مطيعة وخاضعة لأمر الله تعالى. لكن الإنسان ليس
بمسلم ، ولا شك أن هذه الأشياء تسبّح بحمد الله ، لأن القرآن يقول :
"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"
[الإسراء : ٤٤] ، مثال ذلك إذا جاء رجل من دولة لانعرف لغته
وخطب بلغة أجنبية فالناس لا يستطيعون أن يفهموا خطبته ، رغم أنه
من جنسهم وبني جلدتهم ، فالأشياء الكونية إذا سبحت وهللت
وكبرت وحوقلت ، فكيف يمكنهم فهم كلامها وهي من جنس آخر ،
لذلك كان العلامة ابن تيمية يقول في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم :
"إن عدم العلم بشيئ لا يستلزم عدم وجوده".

إخواني في فن درب الحياة لا على الشوك والقِتَاد!

إذا ثبت وتقرّر وتحقق أن الإسلام يتعلق بالنظام التشريعي
لا يتغيّر ولا يتبدّل ، فلماذا تُرفع هُتافات ونداءات للتعديل في
الإسلام؟ ولماذا يقول المناوون والعقلانيون والمتربصون به الدوائر:
إن الإسلام لا يتفق وطبيعة الإنسان ، ولا ينسجم مع العصر المتملّن
الراقي ، وهو في حاجة إلى تبديل يسير ، نظراً إلى المتطلبات العصرية
والمقتضيات الراهنة ، فأقول لهم : هل النظام الفطري يتبدل ، هل
يتولد الولد من الفم مع مرور الزمن ، فإذا كان هناك طريق خاص
بولادة الولد ، فكذلك طريق خاص للحياة الإنسانية ، أي الإسلام.

وهناك بَشائرُ وبرقاتُ أمل أن الإسلامَ ينتشرُ في كل بقعة من بقاع العالم، وتعمُ تعاليمه كل سُكان الأرض، لأن الله يقول: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ١٠٥]، يقول العلامة الألوسي في تفسيره روح المعاني: "هذا وعد من الله بإظهار دينه وإعداد أهله واستيلائهم على وجه الأرض المعمورة، ويُبشر ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاريها، وإن أمتي سيبلغ ملكها إلى ما زوى لي منها"^(١). وقال أيضا قال: لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل". (٢)، حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم: هذا يهودي خلفي فاقتله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه مسلم: ٢٨٨٩ - ٧٦٦٥ - ١٩. (٢) رواه أحمد في مسنده

الإسلام دين الوحدة والتضامن

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١] وأوصيكم ونفسي بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتمزق، قال الله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" [آل عمران: ١٠٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن الإسلام دين كامل شامل لا يقبل تغير الزمان والمكان، وهو دين اختاره الله سبحانه وتعالى للناس ورضي به، فقال: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" [آل عمران: ١٩]، وقال: "وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ" [آل عمران: ٨٥]، لاشك أنه دين سماوي أخير أنزله الله تعالى من فوق سبع سماوات، وهو زاخر

بتوجيهات قيمة رشيدة، وجاء إلى النوع البشري كله بأحسن وجه وأتم صورة وأكمل شكل، كما أفادنا الذكر الحكيم بقوله: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [المائدة: ٣]، هذا هو الدين الذي يحمل للعالم كله رسالة الحب والوثام والإخاء والأمن والهدوء والسلام، فإنه يقضي على جميع العصبيات والقوميات والأنانيات، ويهدم قصر الظلم والعدوان، ويغرس بذرة الحب والأخوة والوحدة والتضامن في أرض القلوب والأرواح المجذبة، فتصبح مخضرة وتُنبت شجرتها في صورة نبات حسن يؤتي أكله كل حين وأن، وتهبّ نفحة الأمن والسلام والطمأنينة ويسود جوّ السكينة.

أيها الإخوان!

أنتم تعلمون كل المعرفة أن الدين الذي نتحلّه، هو يُشعل في مجامر القلوب والأفئدة شعلة المحبة والمودة والألفة، وينفث في النفوس روح الأخوة والصدّاقة، ويُورث في الناس عواطف المساواة والمواساة والتعاون على البر والتقوى، وأنه يريد أن يؤسس مجتمعاً يوجد فيه أفراد يتمتعون بقلوب صافية ونفوس زكية عامرة بالحب والحنان والعاطفة للإنسان، ألم تعلموا! هذا هو الدين الوحيد الذي يحاول جمع الناس على رصيف واحد وإقامتهم في صف واحد، وأنه مستمر منذ فجره في رفض الفرقة والتمزق والتشتت والتفاوت بين الطبقات البشرية، فيُعلن مدوياً

مجلجلاً بلسان نبيه يوم عرفة في جمع حاشد من البشر: لا فضل
لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على
أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، كلكم من آدم وآدم
من تراب^(١).

أيها المستمعون الكرام!

تعالوا معي أذهب بكم إلى وراء القرن الخامس عشر الميلادي
كي تنظروا بعيون رؤوسكم كيف تجلت مظاهر الأخوة والصدقة
والتعاون والمحبة بأسمى معانيها وأبرز صورها وأشكالها، وما ظهر
فيه من أمن وسلام وحب وإخاء مكان كل جور وظلم وعدوان،
وكي تستعرضوا تلك الأجواء القائمة والبيئات الخائقة الشائقة التي
كانت سائدة على المجتمعات الإنسانية كلها، وتشمل الحياة الفردية
والجماعية، وتميز بين الناس على اسم الأوطان والأقوام والدماء
والألوان البيض والسود، فتهراق الدماء بأمور تافهة جداً،
وتشتعل بها نيران الحروب الطاحنة، وتتوقد بها شُعل العداوة
والبغضاء، والحسد والشحناء.

أفلا تتفكرون! أن الإسلام لما أظل الإنسانية بظلاله الوارفة
فتمزقت أردية الكبر والأنانية والخيلاء، وتهدم بناء التفوق بالقبائل
والشعوب وتناثر نسج العنكبوت.

(١) أخرجه أحمد في مسنده : ٢٢٩٧٨

لكن أقول مع الأسف الشديد والقلق البالغ أيها الإخوة المؤمنون! إن المسلمين في هذا العصر الراهن الذي نتحدث عنه ما تجردوا عن تلك المكارم والمعالي فحسب، بل تجردوا عن جميع الفضائل والخصائل التي تستنزل النصر اقتساراً وتُثبت التضامن والوحدة، فلما فقدت هذه الأمة ميزتها، ونسيت رسالة الوحدة والتضامن التي كانت من أهداف الإسلام السامية وأغراض البعثة المحمدية تُركت مخذولةً، فمن أين يأتي التضامن والوحدة؟ ومن أين تحدث الأخوة والمحبة؟ ومن أين يوجد مجتمع حافل بالوثام والالتيام، اللذين جاء عنهما البيان، فيما رواه الشيخان: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضاً^(١)، وهذا هو الشيء الذي أكدَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث تأكيداً بالغاً.

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: "وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [آل عمران: ١٠٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: ٢٤٤٦

القرآن كتاب هداية وشفاء

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١] وأوصيكم ونفسي بالتمسك بكتاب الله تعالى، لأن الله عز وجل يقول:

"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" [الإسراء: ٩].

أيها الإخوة المؤمنون!

قد حثنا الله سبحانه وتعالى على طلب الخير، ولا خيرَ

أحسن من القرآن الكريم ، لأنه نزل في خير بقاع الأرض ، وهي مكة والمدينة ، ونزل على خير الرسل وهو خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، واختار الله تعالى له خير الأمم وهي خير أمة أخرجت للناس ، فمن قرأها وأدى حقه كان خير الناس وأفضل الناس. قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" ليونس: ٥٧ - ٥٨، وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

خلق الله تعالى هذا العالم ، وجعله مزرعةً للأخرة ، وأرسل الأنبياء والرسل وأنزل معهم الكتب ، وقد ثبت من السنة أن مائة صحف وأربعة كتب نزلت على مر العصور وكر الدهور ، وجميع هذه الكتب نزلت في شهر رمضان ، والقرآن هو مهيمن على الكتب السماوية الأخرى ، فهو خلاصة الكتب السماوية.

جاء في مسند ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال ، (وهي من البقرة إلى التوبة) وأعطيت مكان الزبور المثين (وهي من يونس إلى القصص) ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني

(١) أخرجه البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

(وهي من العنكبوت إلى سورة الفتح) وفضلت بالمفصلات (وهي من الحجرات إلى سورة الناس)، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا" [النساء: ١٧٤].

أيها الإخوة المؤمنون!

القرآن هدى للناس، فهو هداية ربانية ومنحة إلهية لهذه البشرية، أنقذها الله من الظلمات والضلالات والانحرافات، والقرآن شفاء لما في الصدور، فهو شفاء من أمراض الأبدان، وشفاء من أمراض القلوب، وجاء فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً لديغاً سليماً برئ من تأثير سورة الفاتحة^(١)، وقال ابن قيم الجوزية: مكثت بمكة مدة تعتريني أدواء، ولا أجد طبيباً ولا دواءً، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً عجباً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً، وكان كثير منهم يبرأ سريعاً، فالقرآن شفاء من أمراض الأبدان وأمراض القلوب: أمراض الشهوات، وأمراض الشبهات.

أيها الإخوة المؤمنون!

هذا هو القرآن الذي أخرج جيل الصحابة من الظلمات إلى النور، وأنار لهم الطريق، فكان أبو بكر رضي الله عنه لا يستطيع أن يقرأ القرآن لكثرة ما يبكي، وكان بكاءً، ولما نزل قول الله تعالى: "مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ" [النساء: ١٢٣]، قال أبو بكر:

(١) أخرجه البخاري

أحسست أن انقصاماً حصل في ظهري ، وهذا عمر بن الخطاب يقرأ قول الله تعالى: "إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ" [الطور: ٧- ٨] قال الراوي: ما كاد عمر أن يقف استند إلى صخرة وراءه، وأخذ يبكي، لم يستطيع أن يمشي على جليه، فحملوه إلى بيته، وبقي في بيته أياماً يزوره الناس، وليس بمريض.

أيها الإخوة المؤمنون!

الفارق الأساسي بيننا وبين الصحابة يتلخص في سببين أولاً: إنهم قرأوا القرآن بقصد العمل والتطبيق، من دون محاطة ولا مراجعة، ولا تسويق ولا تردد، وقصة تحريم الخمر شاهدة على ذلك، قالوا: انتهينا ربنا، انتهينا - والسبب الثاني هو أنهم أخذوا القرآن ومعه الحديث النبوي، وما أخذوا معه الفلسفات والنظرات والأهواء ولا الآراء - قال الله تعالى: "المص كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ" [الأعراف: ١- ٣].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

القرآن جبل الله المتين

إن الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وتوحد بالكبرياء، وحكم في عباده بالموت والفناء، حمد من يعترف بقصور الباع وقلة البضاع في المدح والثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل، لأن تقوى الله تجارة لن تبور، يقول الله عزوجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" لآل عمران: ١٠٢، وأوصيكم ونفسي بالاعتصام بجبل الله المتين، لأن الله عزوجل يقول: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" لآل عمران: ١٠٣، قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: جبل الله هو القرآن، وهو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض^(١).

أيها الإخوة المؤمنون:

القرآن كتاب الله عزوجل، نزل قبل أربعة عشر قرناً ونصف بواسطة جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ، فأخذه

^(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٣٧٩٠).

وغطه الثانية، وقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" [العلق: ١ - ٥]، هذه أول آيات القرآن، أما آخر آية فهي كما فسّر العلماء: "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" [البقرة: ٢٨١]، فالقرآن كتاب هداية ورشد، والهداية معناها: إراءة الطريق، ومعناها الثاني: الإيصال إلى المطلوب. فالقرآن يرشد إلى الطريق السوي، ويوصلنا إلى الغاية المنشودة بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" [الإسراء: ١٩].

إن جميع تعاليم القرآن تتلخص في سورة الفاتحة التي هي أول سورة من حيث الترتيب:

١. التوحيد: هو ثلث القرآن

يقول الله عزوجل: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" [الفاتحة: ٢ - ٤].

٢. التشريع، يقول الله عزوجل: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" [الفاتحة: ٥].

٣. التذكير: يقول الله عزوجل:

"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" [الفاتحة: ٦ - ٧].

أيها الإخوة المؤمنون:

نزلت قبل القرآن صحف وكتب سماوية، من بينها صحيفة نوح، وصحيفة إبراهيم، وصحيفة موسى، والتوراة والزيور والإنجيل، فلم يتكفل الله بصيانتها إلا القرآن، فإن الله عزوجل قال عنه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" [الحجر: ٩]، وقد وصف الله القرآن بقوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" ليونس: ٥٧-٥٨]، فالقرآن تلاوته عبادة، ولسه عبادة، والنظر إليه عبادة، وسماعه عبادة، وهو دواء لجميع الأمراض البدنية والروحية، يقول الله عزوجل: "وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" [الإسراء: ٨٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت.

أيها الإخوة المؤمنون!

القرآن مرآة وضيئة يستطيع كل واحد منا أن يبحث عن ذكره، إما تصريحاً وإما إيماءً، وإما تلويحاً. ذكر الإمام أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي البغدادي في كتابه قيام الليل: أن الأحنف بن قيس كان جالساً يوماً، فعرضت هذه الآية من سورة الأنبياء: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" [الآية: ١٠]، فإنه اتبه، وقال: عليّ بالمصحف

لألتمس ذكري حتى أعلم أنا مع من به، فمرَّ بقوم أهل الجنة، فقال: أنا لست منهم، وكان هذا السؤال غُصَّةً في حلقه وحسرةً في قلبه، ثم مرَّ بآيات المشركين والمنافقين واليهود والنصارى فقال: الحمد لله أنا لست منهم، ثم وصل إلى هذه الآية: "وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [التوبة: ١٠٢]. قال: هذا ذكري، هذا ذكري.

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الذي قرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران^(١).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٤٩٣٧)، ومسلم: رقم الحديث (٧٩٨).

من حقوق المصطفى ﷺ

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون!

لقد أكرمنا الله تبارك وتعالى ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن علينا بزوج شمس رسالته، قال تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" [آل عمران: ١٦٤].

وإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم علينا حقوقاً كثيرة، ينبغي علينا أداؤها والحفاظ عليها، والحذر من تضييعها أو التهاون بها. ومن هذه الحقوق:

أولاً: الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

إن أول حق من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم هو الإيمان به، والتصديق برسالته، فمن لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه

وسلم وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فهو كافر، وإن آمن بجميع الأنبياء الذين جاؤوا قبله.

والقرآن مليء بالآيات التي تأمر بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الشك في رسالته، فمن ذلك قوله تعالى: "فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا" [التغابن: ١٨].

وقال: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا" [الحجرات: ١٥].

وبين تعالى أن الكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أسباب الهلاك والعقاب الأليم، فقال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" [الأنفال: ١٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (رواه مسلم) ^(١).

ثانياً: اتباعه صلى الله عليه وسلم:

واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو البرهان الحقيقي على الإيمان به، فمن ادعى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم هو لا يمثل له أمراً، ولا ينتهي عن محرم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه لا يكون مؤمناً حقيقياً، فإن الإيمان هو ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

^(١) صحيح مسلم: رقم الحديث (٢٢٢).

وقد بين الله تعالى أن رحمته لا تنال إلا أهل الاتباع والانقياد

فقال تعالى :

"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ"

[الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧]

وكذلك فإن الله تعالى توعد المعرضين عن هدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم والمخالفين أمره بالعذاب الأليم فقال :

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور: ٦٣)

وقد أمر الله تعالى بالتسليم لحكم رسول الله صلى الله عليه

وسلم وانشرح الصدر لحكمه فقال :

فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (النسا: ٦٥)

ثالثا: محبته صلى الله عليه وسلم :

ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته : محبته كل الحب

وأكملة وأعظمه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى

أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (متفق عليه) ^(١) .

(١) صحيح البخاري / حب الرسول من الإيمان (١٥) / صحيح مسلم (٤٤) ،

النسائي (٥٠١٣) ، ابن ماجه (٦٧) ، الدارمي (٢٧٤٤) ، ابن حبان (١٧٩) ، أبو

يعلى (٣٠٤٩) .

فأي إنسان لا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس بمؤمن ، وإن تسمى بأسماء المسلمين وعاش بين ظهرانيهم .

وأعظم الحب أن يحب المؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من محبته لنفسه ، فقد قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا ، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)

فقال له عمر : والله لأنت أحب إليّ من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر)^(١) .

رابعا : الانتصار له صلى الله عليه وسلم والذب عنه :

وهو من أكد حقوقه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ، فأما في حياته فقد قام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة خير قيام .

وأما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فالذب يكون عن سنته ، إذا تعرضت لطعن الطاعنين وتحريف الجاهلين وانتحال المبطلين .

ويكون الذب كذلك عن شخصه الكريم إذا تناوله أحد بسوء أو سخرية ، أو وصفه بأوصاف لا تليق بمقامه الكريم صلى الله عليه وسلم .

^(١) رواه البخاري : ٦٦٣٢ .

وقد كثرت في هذا العصر حملات التشويه التي يطعنون بها على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ويرسمون كاريكاتيراً مُسيئاً عبر الوسائل المنشورة في عدد من البلاد الغير الإسلامية، فعلى الأمة كلها أن تهبَّ للدفاع عن نبيها صلى الله عليه وسلم بكل ما تملك من وسائل قوة وأدوات ضغط، حتى يكف هؤلاء عن كذبهم وبهتانهم وافتراءهم. أقول هذا، وأستغفر الله لي، ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

السيرة النبوية القرآنية

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على
جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

فيا أيها الإخوة المؤمنون !

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، لأن الله عز وجل
يقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ " [آل عمران : ١٠٢] وأوصيكم بالتحلي بالأسوة الحسنة ،
لأن الله عز وجل : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ
كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " [الأحزاب : ٢١].

أيها الإخوة المؤمنون !

السيرة النبوية المحمدية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام
عنوان المجد والكرامة ، وغرّة جبين الإنسانية ، وهذه السيرة مخترنة
في المصادر الإسلامية بنصّها وفصّها ، فليست هناك سيرة خلّدت
خلود الزمان إلا سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنها
تتصف بأربع صفات :

تاريخيتها وجامعيتها وشمولها وكمالها، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أعطيتُ خمساً لم يُعْطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأَيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأجِلت لي الغنائم، ولم تُحل لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، ويُبعث إلى الناس عامة^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

المصدر الأول للسيرة النبوية هو القرآن، وقد درسنا نحن السيرة النبوية في كتب السيرة ومؤلفاتها مثل سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وسيرة النبي ورحمة للعالمين والسيرة النبوية وسراجاً منيراً تعالوا أن ندرس السيرة النبوية مباشرةً في ضوء القرآن الكريم:

العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو عام الفيل، قال الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ" [الفيل: ١]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم، ورد ذكره في القرآن: "رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: "مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

(١) أخرجه البخاري.

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" [الصف: ٦].

وقد ورد ذكره صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية الماضية بهذه الكلمات: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ" [الأعراف: ١٥٧].

قد بعث صلى الله عليه وسلم في الأميين، قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ" [الجمعة: ٢]، ابتداء نزول الوحي بهذه الآيات، قال الله تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ" [العلق: ١ - ٢]، ولما ارتعد من الوحي خاطبه الله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. بدأ صلى الله عليه وسلم دعوته إلى الناس بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" [الأعراف: ١٥٨]، "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" [الشعراء: ٢١٤].

وكان أعدى عدو للنبي صلى الله عليه وسلم وليد بن المغيرة ذكره القرآن: "إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ" [المدثر: ١٨ - ١٩] وجاء ذكر أبي جهل في سورة العلق، وذكر أبي لهب في سورة لهب.

أما حادث الإسراء والمعراج فذكره القرآن مرتين بقوله: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" [الإسراء: ١]، قال الله تعالى: "وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ" [النجم: ١ - ٢].

وورد ذكر الهجرة: "ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" [التوبة: ٤٠].

ورد تحويل القبلة: "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَا هُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا" [البقرة: ١٤٢].

ورد الإذن للقتال بقوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ أَنْ يُجَاهِدُوا" [الحج: ٣٩]، وجاء ذكر غزوة بدر بقوله: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [آل عمران: ١٢٣].

وجاء ذكر غزوة أحد: "وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [آل عمران: ١٢١].

وغزوة الأحزاب: "إِذْ جَاءَ وَكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ" [الأحزاب: ١٠].

وغزوة بني قريظة: "وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ" [الأحزاب: ٢٦].

وقصة الإفك: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" [النور: ١١].

وصلح الحديبية: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا" [الفتح: ١].
وغزوة خيبر: "وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا" [الفتح: ٢٠].

وفتح مكة: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا [الإسراء: ٨١]، وقال الله تعالى: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ"
[النصر: ١].

وغزوة حنين: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمُ" [التوبة: ٢٥].

وغزوة تبوك: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ
الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"
[التوبة: ١٢٣].

وحجة الوداع: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي" [المائدة: ٣].

ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" [آل
عمران: ١٤٤].

أيها المؤمنون!

انظروا إلى شمائل النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن:
لسان النبي: "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"
[الدخان: ٥٨].

قلب النبي: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" [النجم: ١١]، "قَدْ تَرَى
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ" [البقرة: ١٤٤].

وجه النبي: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" [الروم: ٣٠].
 عين النبي: "لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ"
 [الحجر: ٨٨، وطه: ١٣١].
 أذن النبي: "وَيَقُولُونَ هُوَ أُوذُنٌ قُلْ أُوذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ"
 [التوبة: ٦١].

صدر النبي: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ" [الشرح: ١].

ظهر النبي: "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" [الشرح: ٢].

هذه بعض الملامح والآثار التي ظهرت من القرآن، وإلا
 فجميع القرآن هو السيرة العملية صلى الله عليه وسلم، وقد جاء
 في شعب الإيمان للإمام البيهقي عن الحسن رضي الله عنه قال:
 سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خَلْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: كَانَ خَلْقَهُ الْقُرْآنَ، تَعْنِي تَأْدَبَ بِأَدَابِهِ، وَتَخَلَّقَ
 بِأَخْلَاقِهِ، فَمَا مَدَحَهُ الْقُرْآنُ كَانَ فِيهِ رِضَاهُ، وَمَا ذَمَّهُ الْقُرْآنُ كَانَ فِيهِ
 سَخَطُهُ.

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
 ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

البعثة المحمدية: أهدافها وغايتها

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل، لأن الله عزوجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢].

وأوصيكم ونفسي بالتأسي بأسوة النبي صلى الله عليه وسلم لأن عزوجل يقول: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [الأحزاب: ٢١].

أيها الإخوة المؤمنون:

بعث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بعد ما طالت الفترة، وساد الظلام، وكان الناس في همجية شنعاء، وعداوة نكراء. وقد دعا له سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعاءه

وقال: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" [الجمعة: ٢]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا ثمرة دعاء جدي إبراهيم عليه السلام^(١).

أيها الإخوة المؤمنون:

إن من أهداف البعثة المحمدية: تلاوة القرآن وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة وتزكية النفوس والقلوب، فكان من آثارها الجليل الأول، والرعيّل الأول الذين جازفوا بحياتهم، وخاطروا بأنفسهم وعرضوا أنفسهم للخطر والهلاك، فشهد الله عز وجل بصفاتهم قائلاً: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" [الأحزاب: ٢٣].

فتلاوة القرآن بمراعاة قواعد التجويد حتم لازم لكل إنسان، وقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بصوته الرخيم وأسلوبه الغض الطري الندي، تأثر به الكفار فصاروا مسلمين في دقائق وثمان، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم بسمع تلاوة خباب بن الأرت رضي الله تعالى، وهذا طفيل بن عمرو الدوسي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم سورة الإخلاص فأسلم على الفور، وهلم جرأ.

أما تعليم الكتاب والحكمة فهو فهم القرآن وآياته، وقد فسّر

^(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه.

النبي صلى الله عليه وسلم فقال: خيركم من تعلّم القرآن وعلمه^(١)، وقد حذر الله الناس بعاقبة وخيمة لمن لا يتدبّر القرآن، وهو يقول: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" [محمد: ١٢٤].
أيها الإخوة المؤمنون:

إن تزكية النفوس هي الدعامة الأساسية للبعثة المحمدية، فقد ربّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام البررة تربيةً حسنة، فكانوا أغزر الناس علماً، وأقلهم تكلفاً وأوسعهم صدراً.
أيها الإخوة المؤمنون:

هذا الجانب المهم جانب تزكية النفوس تنقصه حياتنا، نعم، نتلو القرآن ونفهم معانيه، لكن لا نتصف بالأخلاق الحميدة، والمحاسن الطيبة، كما ورثنا من النبي التلاوة، وتعليم الكتاب والحكمة، كذلك ورثنا الشمائل والخصال والخلال النبوية، فإذا تمسكنا بجانب، وتركنا جانباً فهذه خلافة ناقصة، ونيابة مخدجة، ولنحذر من هذا العقاب الأليم، يقول الله عز وجل: "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ" [البقرة: ٨٥].

أقول هذا، وأستغفر الله لي، ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) صحيح البخاري / فضائل القرآن (٥٠٢٧).

وُلد الهدى فالكائنات ضياء

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل ، لأن الله عزوجل يقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ " [آل عمران : ١٠٢].

وأوصيكم ونفسي بالتأسي بأسوة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله عزوجل يقول : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " [الأحزاب : ٢١].

إن هذا العالم المتحضر قد مُني بشقاء طويل وفشل ذريع في مجالات الحياة ، فقد انقلب الأمر فيه ظهراً لبطن وانعكست فيه المقاييس والمقادير ، فاحتل الباطل مكان الحق ، واستولى الشر على الخير ، قال تعالى : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ " [الروم : ٤١] ، كأنَّ هذا العالم يئن تحت هذا الفساد المستشري والمرض المتفشي ، وينادي من يغيثه ، ومن ينصره ، فتأتي رحمة

الإسلام وتظله من ظلاله الوارفة، فالإسلام هو الملجأ الوحيد للعالم الحائر المتسكع في الظلمات، قال الله تعالى: "وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" آل عمران: ٨٥.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن القرن السادس الميلادي كان من أخطر أحوال التاريخ، كان الإنسان قد نسي خالقه، فنسي نفسه وضميره، وتجرّد من جميع الفضائل والقيم العليا، واشتغل بأمور تافهة نحو النفس والحياة والمجتمع، ولم يكن أي فاحشة إلا وقد اختارها كزينة فاخرة وثقافة معاصرة، فكان الغش والخيانة والمكروالدهاء والفسق والفجور والظلم وإبادة الإنسان قد بلغ إلى حد لا نهاية له، كان الناس يثدّون البنات، ويمرّمون الحلال ويحللون الحرام، ويعشون في الأرض فساداً، ويحدثون فيها حروباً طويلة تستمر إلى سنوات طوال، حتى مقت الله عربهم وعجمهم وشرقهم وغربهم، وقدر أن يوفر لهم فرصة للرجوع من غوايتهم إلى الدين الحنيف، فمن الله عز وجل فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" آل عمران: ١٦٤، وقد أحسن أحمد شوقي حينما قال:

وُلد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّم وثناء

أيها الإخوة المسلمون!

إذا سرحنا أطرافنا في تاريخ العالم انكشف لنا جلياً أن الشقاء والتعاسة قد وجدت في فترات من الزمان، وكلما شقيت الأمة أزال الله عزوجل شقاءها بشيء أقوى منه، كان اليهود أشقياء فجعلهم الله إماماً للناس، وفضلهم الله تعالى على العالمين، لكنهم بدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، وكان النصرارى أشقياء حتى بعث الله تعالى إليهم عيسى عليه السلام، فأرشدهم إلى الصراط المستقيم، لكنهم لم يلبثوا حتى رفضوا دعوته وأنكروا رسالته، أما أهل إيران والهند فكانوا في التفاوت بين الطبقات وعبادة النار والآلهة الكثيرة والنيل من كرامة المرأة وفشو الشهوة الجنسية إلى أسوء حد، وكانت الأدوية الخلقية قد امتزجت بلحومهم ودمائهم حتى أشرق عليهم نور الهداية، وانبلج الصبح الصادق من ظلام الليل الحالك، قال الله عزوجل: "فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ" [هود: ١٠٦]، وقال: "وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ" [هود: ١٠٨].

أيها الإخوة!

إن شقاء العالم المعاصر لا يختلف شيئاً من شقاء العالم السابق، بل قد ترقى وازدهر وبلغ إلى منتهاه، فكانت الفواحش والمنكرات عادةً وتقليداً، لكنها أصبحت في هذا الزمان حضارةً

وتمدناً، كانت التعاملات الربوية بأقل نسبة في الماضي، لكن يشهد هذا العصر أنّ الجاهلية قد عاشت في كل بيت، وياضت وفرّخت، كان الزمن الجاهلي يعرف الشرك والكفر البواح، لكن هذا العصر قد اخترع لونا للكفر وهو الارتداد الشائع العام، كان العالم القديم لا يتلطح بدماء الأبرياء بهذه الكثرة الكاثرة، لكن العالم المعاصر بسبب قتله السامة وصواريخه المدمرة يدمر آلاف مؤلفة من الناس والدواب والأنعام في دقيقة واحدة، يقول الله عزوجل: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

أيها الإخوة!

إن جاهلية القرن الحادي والعشرين قد تجاوزت جاهلية الزمن الجاهلي، وفاقت الرقم القياسي في كل مجال من مجالات الحياة، ولا يُخرج العالم من هذه الجاهلية المتتنة إلا الإسلام، الدين الخالد الدائم، الباقي النامي إلى يوم الدين، فما أحوج العالم المعاصر إلى رحمة الإسلام، وما أحوج الجيل المثقف إلى ظلال الإيمان الفيحاء، تعالوا إلى أن تحتضن الإسلام مائة في المائة، وتتفانى في سبيله حتى نكون سعداء مكرمين، هو الذين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الصحابة الكرام خير هذه الأمة

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماء العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا أجل محدود، ولا وقت معدود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بتقديم آيات العظمة والاحترام والامتثال إلى الصحابة الكرام: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" [التوبة: ١٠٠].

أيها الإخوة المؤمنون!

ظهرت على وجه الأرض مجتمعات متعددة، هذه المجتمعات قد تكونت من أتباع الأنبياء الماضين، وقضت أعمارها، ثم ارتحلت إلى الله عز وجل، وهي قصة تُروى وتُحكى، لكن المجتمع الذي أقامه نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم هو مجتمع الصحابة الذي ظهر إلى حيز الوجود في ثلاث وعشرين سنة، فالصحابه هم الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وماتوا على الإيمان، قال عبد الله بن مسعود: أولئك أصحاب محمد خير هذه الأمة، وأبرهم قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونقل دينه، وقال فيما قال: إن الله نظر قلوب عباده فاختار محمداً صلى الله عليه وسلم لدينه، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعده، فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ورسالته.

أيها الإخوة المؤمنون!

كما أن باب النبوة والرسالة لا يفتح، كذلك لا يفتح باب صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا شرف ومجد وكرم وعظمة وجائزة ربانية للصحابة رضي الله عنهم، وقد جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبَّ خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحد ولا نصيفه^(١).

أيها الإخوة!

وقد أجمعت الأمة على أن الصحابة هم أعز الناس وأشرف

^(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣)، صحيح مسلم: رقم الحديث (٢٢٢).

الناس بعد الأنبياء، فهم الرعيل الأول الذي تربى في تربية النبي صلى الله عليه وسلم، إن القرآن الكريم يذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن الظلمات انقشعت بوجودهم وتبدلت الأرض غير الأرض، وأزهرت الأزهار وتفتحت الأنوار وابتسمت براعم الإيمان.

يقول الله عز وجل: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [البقرة: ١٤٣]، وقال الله عز وجل: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" [الأحزاب: ٢٣]، كان أنس بن النضر لم يكن حاضراً في غزوة أحد، وكان يتأسف على حياته، ويترقب الفرصة، وبينما كذلك إذ وقعت غزوة أحد، فاستقبل القوم، وقاتل حتى قتل، رضي الله عنه وأرضاه.

أيها الإخوة المؤمنون!

هذه الصفوة المختارة، والثلة الممتازة أسوة كاملة ونموذج مثالي في هذا العصر المليء بالفتن والمحن، ذلك لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مارسوا جميع الأحوال، وذاقوا حرارتها ومرارتها، فكانوا أحق وأجدر بأن يُقتدوا ويُتبعوا.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل

تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(١).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه الطبراني في الصغير: وذكره ابن حبان في الثقات.

فضيلة العلم الديني

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١] ، وأوصيكم ونفسي بتعلم العلم والتفقه في الدين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء. (رواه الطبراني)^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

خلق الله عز وجل الإنسان وكرّمه بآلاء جسيمة ونعم جليلة ، وخيّرته عن سائر المخلوقات بالصورة الحسنة والعلم والتدبير والفهم ، وأودعه بذور ملكات الإدراك وأصول التفكير والتدبير ،

(١) أخرجه الطبراني في معجم الكبير: رقم الحديث (٣٩٥/١٩).

فإن اختار له أبواه أخصب تربةً وأصلحها وأطيبها اهتزت وربت ، وأثمرت ثمرة الفضيلة والكمال ، فكانت كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وإن اختار أنجس مكان وأنكده وأخبثه كانت كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . (الطبراني في الكبير...) ^(١) .

أيها الإخوة المؤمنون !

المدرسة الأولى للأولاد هي حضن الأم ، والمدرسة الثانية هي المدارس التي هي مراكز العلم والنور ، فإنما تنتمي إلى الصفة النبوية المطهرة ، فهي تُعلم الحرام والحلال والخبيث والطيب ، وكيف يعيش الإنسان في هذه الدنيا ، وما هي غايته؟ وما هو هدفه؟ لولاها لما كان نور ولا إيمان ولا هداية ، فقد جعلها الله قياماً للناس ، لأنها تنتمي إلى الكعبة المقدسة التي هي سبب بقاء الناس ، فهي أطيّب مكان يزرع فيه الخير والصلاح ، ويغرس فيه النبات الحسن .

أيها الإخوة المؤمنون !

قسم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى العلم إلى قسمين : العلم النافع ، والعلم الضار ، فالعلم النافع ينقسم إلى قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية ، فالعلم الذي هو فرض عين علم الآخرة ،

^(١) رواه البيهقي والطبراني في المعجم الكبير ، وصحيح البخاري : رقم الحديث (١٣١٩) .

وعلم القيامة، والعلم الذي هو فرض كفاية هو علم الحدادة
والنجارة والزراعة وأمثالها، وقد قال النبي عليه وسلم: طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة.

أيها الإخوة المؤمنون!

لا مانع أن يتعلم إخواننا علم الهندسة والفلك والنجوم
والسما والكواكب، ولا مانع أن نذهب إلى الجامعات والكليات
العصرية والرسمية لإكمال التعليم، لكن الأولى والأهم أن نهتم
بتعلم الدين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طلب
العلم مشى في رياض الجنة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُب نبيكم وحُب أهل بيته
وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة، لا ظل إلا
ظله مع أنبيائه وأصفياه^(١).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه الديلمي: رقم الحديث (٢٤/١).

حقيقة التوبة

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون!

أولاً أوصيكم ونفسي بتقوى الله التي هي الزاد، وبها المعاد، وثانياً: أوصيكم ونفسي بالصبر والمصابرة على حدود الله، لأن الصبر ترك الشكوى واستلذاذ البلوى.

إخوة الإيمان! المهمة التي خلق الله تعالى لها الإنسان هي العبادة، والعبادة: إظهار أقصى غايات التذلل والخضوع، فالعبادة تنقسم إلى قسمين: ظاهرة، وباطنة، فأما العبادة الظاهرة فهي كالصلاة والصوم، والزكاة والحج، فهناك نوع آخر من العبادة، وهي عبادة قلبية، فلا تتحقق هذه العبادة إلا بالتوبة الخالصة النصوح، فالتوبة عودة إلى الله، والتوبة رجعة إلى الأصل، والتوبة قفزة إلى الحقيقة.

أيها الإخوة المؤمنون! ليس عجباً أن يُذنب ابن آدم، وليس

عجيباً أن يتورط في المعصية، إذ العجب كل العجب عجباً يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان أن يتمادى في الذنوب، ويستمرئ طريق المعصية ويتوغل فيه، فتتراكم عليه الخطايا حتى يسود قلبه والعياذ بالله، لماذا يستمر الإنسان في طريق الشيطان: الواقع أنني لا أرى له إلا سبباً واحداً: هو طول الأمل واستبعاد الموت، ولقد صدق من قال: أكثر أهل النار المسوفون: أتدرون ما المسوفون؟ المسوفون الذي يقولون: سوف نتوب، سوف نعمل، سوف نرجع، وقد قال بعض السلف: سوف جند من جنود إبليس، فالإنسان يقول يوم القيامة: "لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ" [المنافقون: ١٠]، فيأتي النداء: كانت أمامك الساعات، كانت أمامك الدقائق، كانت أمامك الأيام، كانت أمامك الشهور، لكنك ما صلحت ولا أصلحت، "وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [المنافقون: ١١].

أيها الإخوان! التوبة مطلوب من الناس، كل الناس، من الشرك والنفاق، والكبائر والصغائر، وقد قال السلف: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيت، فالتوبة لا تقبل إلا بالندم والاحترق الداخلي كما جاء في ما رواه الإمام أحمد في مسنده: الندم توبة، وحقيقة الندم أن تضيق الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك، ثم العزم الأكيد المصمم، ثم الإقلاع عن المعصية، ويشترط فيها أن ترد المظالم إلى أهلها والحقوق إلى

أصحابها، أما الصغائر فيكفرها مجرد اجتناب الكبائر، وأما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة.

فالتوبة ليست كلمة تقال، ولا دعوى تدعى، إنها عمل عظيم، تغيير في حياة الإنسان، فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون! وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا" [التحریم: ٨]، وقال: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" [الزمر: ٥٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الأمانة عماد المجتمع المسلم

إن الحمد لله الذي وسعت رحمته السموات والأرض، وعمت بركته الخلق والأمر، وغشي فضله كل من هبَّ ودبَّ، والصلاة والسلام على سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون! أوصيكم ونفسي بالتقوى ومجانبة الهوى، فإن تقوى الله عز وجل وقاية لكم من عذابه، وأحذركم من المعاصي، فإنها موجبات لغضب الرب وأليم عقابه، وأحثكم على إيصال الأمانة إلى أهلها، فإنها مجلبة للخير وبركاته.

أيها الإخوة المؤمنون! الأمانة كلمة جامعة، وردت في القرآن الكريم ست مرات، مرتين في السور المكية، وأربع مرات في السور المدنية، وهي خصلة تجمع بين الأصول والفروع من الإيمان والعمل الصالح، وهي عماد الدين وعماد المجتمع المسلم كذلك، وبها وعليها تقوم وتنشأ جميع الروابط بين الناس أفراداً وجماعات، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: بثت البطانة الخيانة.

أيها الإخوة المؤمنون! الأمانة لها أشكال وأنواع، فهناك أمانة مع الله، وأمانة مع الناس، وأمانة مع النفس، فالأمانة مع الله في تقواه، وصدق العبودية له، وإخلاص العمل في السر والعلن، "يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [الأنفال: ٢٧]، والأمانة مع الناس هي من قبيل الودائع التي يضعها بعض الناس عند البعض الآخر، وترك التطفيف في الميزان، وفي البيع والشراء، يقول الله: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا" [النساء: ٥٨]، والأمانة مع النفس في الاغتنام للوقت والصحة والمال وعدم الاستسلام لدوافع الشهوة والغضب والزيغ والانحراف، قال صلى الله عليه وسلم: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، صحتك قبل سقمك، غناك قبل فقرك، فراغك قبل شغلك، حياتك قبل موتك (شعب الإيمان: ١٠٢٤٨).

أيها الإخوة! هناك أمانة إلهية عظيمة، عجزت السموات والأرض والجبال عن حملها وحفظها، ولكن حملها الإنسان، فالمقصود من هذه الأمانة: المسؤولية والتكليف، الملقى على عاتق الإنسان.

أيها الإخوة المؤمنون! الأمانة لها أبعاد مختلفة وواسعة في حياة الإنسان، فالماء والتراب والهواء وجميع ما خلقه الله تعالى من الكائنات الطبيعية لتيسير حياة الإنسان أمانة، فالأموال والثروات والمناصب أمانة، والأطفال لدى والديهم أمانة، والطلاب لدى معلمهم أمانة، والمرضى لدى أطبائهم أمانة، والحياة أمانة تعد التفريط فيها خيانة فاحشة، وجاء فيما رواه الترمذي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما

عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج وطننتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث. وأداء الأمانة وقال: أدّ الأمانة للبر والفاجر، فيما قلّ وجلّ، حتى في الخيط والمخيطة.

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) سنن الترمذي: رقم الحديث (٢٤١٧).

الظلم عاقبته وخيمة

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، لأن الله عز وجل يقول : "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١] ، وأوصيكم باتخاذ العدل والقسط شعاراً لكم ، لأن الله عز وجل يقول : "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ" [النحل: ١٩٠].

أيها الإخوة المؤمنون!

من الصفات المذمومة القبيحة صفة الظلم والجور والبغي ، وهذه الصفة جُماع كل سوء ومعصية ، ومغلاق كل خير وبركة ، فأصل كل خير العلم والعدل ، وأصل كل شر الجهل والظلم ، فالظلم في اللغة : وضع الشيء في غير محله ، وهو في العرف

العام: عرقلة الطريق نحو العدل والإحسان، إما طوعاً وإما
كرهاً، وإما قوةً وإما إجباراً، فقد حرّمه الله عز وجل، فقال:
"قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ يَبْغِي الْحَقَّ" [الأعراف: ٣٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

الظلم أنواع وألوان: الظلم يكون مع الله، وهو الشرك
والكفر والعصيان، قال عز وجل: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ
يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" [لقمان: ١٣]،
والظلم مع العباد، قال الله عز وجل: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ أَنْ
رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ" [العلق: ٦ - ٨]، قال العلماء:
إن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: إنَّ
الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرةً، ولا ينصر الدولة
الظالمة، وإن كانت مؤمنة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، قال
ثم قرأ: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ" [هود: ١٠٢]^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

شهد التاريخ الإنساني فترات الظلم على مر العصور

(١) صحيح البخاري (٤٦٨٦).

والدهور، فالفترة الأولى هي الزمن الجاهلي، وقد وجد جميع أنواع الظلم في كل جزء من أجزاء الحياة، حتى مقت الله العرب والعجم، ثم أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فانقضت سحب الظلم والظلام، والفترة الثانية في القرن السادس الهجري الذي أغار فيه التتر على العالم الإسلامي، فأقاموا للرؤوس منارةً وأسألوا للدماء أنهاراً، لكن انقلب الأمر ظهراً لبطن، فصار هؤلاء الطغاة والقساة والبغاة أنصاراً للإسلام وأعضاءاً للإيمان، وأما الفترة الثالثة التي تحضر فيها الظلم وثقف وترقى فهي عصرنا الحاضر، لكننا نعلم أن الظلم ليس له دوام، ولا يستمر البكاء والصراخ والعيويل والضجيج، وسينتهي في يوم ما بإذن الله، لأن الله عز وجل قال: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" [الشرح: ٥ - ٦]، وقد تحدث لنا التاريخ عن كثير من الظلمة والجبارين الذين أصبحوا مضرب المثل في هذا الشأن، وقد مرت في ماضينا القريب حوادث الظلم والقسوة ما تقشعر الجلود من مجرد تصوره، وما مر ذكره في البوسنة والهرسك، وما يمر في فلسطين اليوم ليس خافياً على العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وقد أذاق الله الظالمين عذاب الهون والشقاء، قال الله عز وجل: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَكُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِغٌ صَادٍ" [الفجر: ٦ -

أيها الإخوة المؤمنون!

إن أكبر ذريعة لمكافحة الظلم هو عدم التعاون في أمور الظالمين، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" [المائدة: ٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

قضية المسجد الأقصى قضية إسلامية

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

فيا أيها الإخوة المؤمنون !

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، لأن الله عز وجل يقول : " وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ " [النساء : ١٣١] ، وأوصيكم ونفسي ببذل كل رخيص ونفيس في سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أرض المحشر والمنشر ، اتتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كآلف صلاة في غيره ، قلت : رأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه ، قال : فتهدى له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل فهو كمن أتاه^(١) .

أيها الإخوة المؤمنون !

أرض الإسراء والمعراج أرض مباركة مقدسة ، وهي أرض

(١) رواه ابن ماجه : رقم الحديث (١٤٠٧) .

النبوات وأرض المسجد الأقصى، أرض أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وهي أرض مأمونة من فتنة الدجال، فلاشك أنها قطعة من الجنة، فقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة، فليُنظر إلى بيت المقدس.

أيها الإخوة المسلمون!

إن مؤرخي العرب قسموا العرب في ثلاثة أقسام: العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة، فالعرب البائدة الذين هلكوا وبادوا، مثل طسم وجديس، والعرب المستعربة هم ذرية إسماعيل الذين سكنوا في الحجاز، والعرب العاربة الخالصة هم أولاد قحطان، الذين سكنوا في اليمن والشام، والواقع أن إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل في أرض الحجاز، وأسكنه ابنه إسحاق في أرض الشام بما فيها من فلسطين، فاتضح أن أرض فلسطين هي للمسلمين، لكن اليهود يدعون أنها لهم، وقد خرجوا من كنعان، وتاهوا في ميدان التيه، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله عز وجل.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن قضية المسجد الأقصى ليست قضية إقليمية أو وطنية، بل إنها قضية إسلامية، وقد مرَّ على السيطرة على المسجد الأقصى أكثر من أربعين سنة، والمسجد الأقصى تحت الاحتلال الصهيوني يئنُّ ويستغيث ويطلب النصر من أولي الغيرة والإيمان، ويقول بلسان حاله: فتحني

عمر بن الخطاب وحررني صلاح الدين، فمن الآن؟ والحقيقة أن المسجد الأقصى أمانة في عنق أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكل مسلم عليه إثم وورز وجمل، حتى يتحرر القدس ويتحرر لديار المسلمين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون.

أيها الإخوة المؤمنون!

كشف الله في القرآن الكريم عن بني إسرائيل أنهم يفسدون في الأرض مرتين، فكانت المرة الأولى في زمن بخت نصر الذي دمّرهم تدميراً، وأما المرة الثانية فهي كما روي عن بعض المفسرين تأتي في زمن قريب، وذلك ما أشار إليه رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود^(١).

ولاشك أن مع العسر يسراً، فينبج الصبح الصادق من الليل الفاسق، ويزول الجو المكفهر، ويسود جو الأمن والطمأنينة في أرجاء المعمورة، لأن الله عز وجل يقول: "وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ" [الشورى: ٢٨].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه مسلم (٢٩٢٢)، وأحمد: رقم الحديث (٣٩٨/٢ - ٤١٧ - ٥٣٠).

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جميل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بالسعي الدؤوب والجهد المتواصل في الخيرات، لأن الله عز وجل يقول: "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى" [النجم: ٣٩ - ٤١].

أيها الإخوة المؤمنون!

خلق الله عز وجل الإنسان، وجعله مخيراً لا مسيراً، فالسماوات والأرض والجبال والنجوم والكواكب والشمس والقمر وما إلى ذلك كلها مسيرة، لكن الإنسان خلقه الله ذا اختيار، يقول

الله: "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" [البلد: ٨ - ١٠]، فباستعمال هذه الموهبة إما يكون الإنسان في أعلى عليين، وإما يكون في أسفل سافلين، قال الله عز وجل: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" [التين: ٤ - ٥].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن السعي والعمل صفة لازمة للإنسان، كل إنسان يسعى إما خيراً وإما شراً، والواقع أن كل سعي يثمر، والسارق يسرق فإنه ينجح في سعيه، والخائن يخون في أمانته فينال منافع كثيرة، ولكن السعي المشكور والجهد المقبول هو ما كان نابعاً من الإيمان، يقول الله عز وجل: "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا" [الإسراء: ١٩]، وهذه سنة الله في الأرض أن الإنسان في أول الأمر يتعب ويكل، ويواصل الليل بالنهار، ثم يجهد أقصى ما يمكن، ثم ينال بغيته، ويجد هدفه، لذلك قال العلماء: من ليست له بداية محرقة ليست له نهاية مشرقة.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم يكشف هذا الواقع كشفاً ملموساً أن العهد المكي كان عهد الزرع والحراث والغرس، فتحمل هو وأصحابه من المشاق ما يجعل الإنسان حيراناً، وذلك ليس يوماً وليلةً وأياماً وأسابيع، بل إلى ثلاث عشرة سنة، ولكن العهد المدني أثمر وأتى بنتائج حسنة سرَّ بها المؤمنون، بنصر الله بنصر الله، وهو

العزیز الحکیم ، وکلنا یعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه أسلم زمن خبير، ولكنه أكثر الصحابة روايةً وحفظاً للحديث، وسماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم، يقول عن نفسه: يا معشر الأنصار! إنكم تزعمون أنّ أبا هريرة يكثر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله الموعد: إني كنت رجلاً مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، وكان المهاجرون يغلبهم الصفاق بالأسواق.

أيها الإخوة المؤمنون!

وإن في الأرض لعبراً: إن غملة صغيرة لا تعادل أي نسبة من حجمنا ومن جسمنا، لكنها مثل للسعي والجهد، فمن أين الكسل الذي تسرب إلى نفوسنا؟ ومن أين التعب الذي تدخل إلى أبداننا؟ ونحن مسلمون نسعى، فليس سعينا سعياً محضاً، بل إنه متصل بالآخرة، قال الله عز وجل: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: ١٣٣].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

التكرار في القرآن : حكمته وأهميته

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم بالاعتبار والاتعاظ من قصص القرآن الكريم، قال الله عز وجل: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" [هود: ١٢٠].

أيها الإخوة المؤمنون!

القرآن الكريم الإلهي الذي نزل بواسطة جبرئيل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وعشرين عاماً، وخير ما عرف به رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم: هو

كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وحال ما بينكم، وخبر ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو أنزل إليكم، والصراط المستقيم وحبل الله المتين.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن موضوع القرآن: الهداية، والهداية تتضمن معنى إراءة الطريق والإيصال على المطلوب، وقد لفت الله انتباهنا إلى هذا الجانب المهم بعلم التذكير بأيام الله وآلاء الله وبالموت وما بعد الموت، قال الله عز وجل: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" [إبراهيم: ٥].

أيها الإخوة المؤمنون!

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصص الأفراد والأمم، فمن الأفراد قصص الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين، مثل آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وداود وسليمان وشعيب وموسى وهارون واليسع ويونس وزكريا ويحيى واليسع وعيسى وذا الكفل ومحمد صلى الله عليه وسلم، ومن قصص الأمم الكافرة وأصحابها المؤمنة قصص أصحاب الكهف، وأصحاب الرس، وأصحاب الأخدود وأصحاب قرية، وأصحاب الجنة وأصحاب السبت وأقوام الأنبياء

السابقين.

وليس الغرضُ من هذه القصص التمتعَ بها والتعرف على جزئياتها، بل الغرض الحقيقي أن ينتقل ذهن السامع والقارئ إلى شناعة الشرك والمعاصي ومعاقبة الله عليها، وظهور النعم الجليلة في حق عباد الله المخلصين.

أيها الإخوة!

فتعالوا أيها الإخوان! إلى الاستفادة من هذه القصص استفادةً كاملةً، والاستقاء من ينابيعها الثرة، قال الله عز وجل: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [يوسف: ١١١].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

صلح الحديبية فتح مبين لا فتح مهين

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مباركاً عليه، كما يحبه ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أشهد أن سيدنا محمداً عبده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بتحمل المرائر وتلذذ المصائب، لأن الله عز وجل يقول: "عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة: ٢١٦].

أيها الإخوة المؤمنون!

هناك حدث تاريخي حاسم لم يكن معركة دامية بالمعنى التقليدي، لكن نتائجه الإيجابية لم تكن أقل من نتائج أي معركة من تلك المعارك الظاهرة الدامية الفاصلة، وهو ما يُعرف بصلح الحديبية. رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أنه قد دخل مكة

وطاف بالبيت ، وذلك من غير تحديد للزمان وتعيين للشهر والعام ، فأخبر بذلك أصحابه وهو بالمدينة ، فاستبشروا وفرحوا فرحاً عظيماً ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في ذي القعدة سنة ست معتمراً ، ومعه ألف وخمسمائة ، ولما دنا من مكة بركت راحلته ونزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ، وفزعت قريش لنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليخبرهم بما كانوا يريدون ، فلما ذهب رفضوا طلبته فرجع ، بينما هم كذلك إذ جاء آخرهم واشترط شروطاً ، كانت والله بلاءً عظيماً ، تجرّع الصحابة رضي الله عنهم كأسه وتجشموا مشاقه ، وكانوا يظنون صلحاً مهيناً ، لكن الله أنزل سورة الفتح قائلاً : "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا" [الفتح : ١ - ٢٣].

إن صلح الحديبية وفرصاً كثيرة لنشر الإسلام ، وقد قال الإمام الزهري : لم يُسلم رجال في تسعة عشر عاماً مثل ما أسلموا في عامين أو ثلاثة أعوام بعد صلح الحديبية ، وذلك أن عددهم كان ألفاً وخمسمائة ، صار عددهم في فتح مكة عشرة آلاف .

وإن صلح الحديبية وفر لإيصال الإسلام إلى الكراسي ، حتى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى الملوك والأمراء ، والحكام وغير ذلك ، فأيصال الإسلام إلى الكراسي ، هذا هو المنهج الصحيح للإسلام .

إن صلح الحديبية يعلمنا بترجيح جانب العقل على العاطفة، ولاشك أن جانب العاطفة يحتاج إليه الإنسان بعض الأحيان، لكن من اللازم أن يكون جانب الفكر غالباً على العاطفة والاستفزازية.

إن صلح الحديبية يتطلب أن تكسر شوكة أعداء الإسلام، وقد كانت للمشركين جبهة موحدة في غزوة الخندق، فكانت الحاجة إلى أن يشتت شمل المشركين، إن صلح الحديبية يقتضي أن يكون الإنسان خاضعاً للأمر، ما لم يكن كفراً بواحاً، ذلك لأن كل إنسان إذا استبدَّ برأيه في المسائل الاجتماعية لم يبق هنا اتحاد ولا تجمع.

وإن حادث الحديبية يبيِّن أن الإنسان إذا أراد أن يعمل بعمل فعليه أن يقوم بنفسه أولاً.

وهناك دروس وعبر، ونصائح ومواعظ تستخرج وتستنبط من صلح الحديبية، وفقنا الله وإياكم للتأسي بهذه الأسوة في هذه المواقف الحرجة الشديدة.

أيها الإخوة المؤمنون!

كيف تحول الصلح المهين إلى الفتح المبين، دلت الحوادث الأخيرة على أن صلح الحديبية الذي تنازل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقبول ما ألت عليه قريش رأوا فيه انتصاراً لهم، وإن صلح الحديبية كان اعتراف قريش بمكانة المسلمين، وباباً إلى فتح مكة، ودعوة إلى ملوك العالم كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وأمراء العرب، وصدق الله العظيم: "عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ

خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ" [البقرة: ٢١٦].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم^(١).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٧٢٠٠ - ٧٠٥٦)، ومسلم: رقم الحديث (١٧٠٩).

الحسدُ جُماع كلِّ إثم

إن الحمد لله، الذي أنزل عبده على الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكتبن فيه أبداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أشهد أن سيدنا محمداً عبده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فيأيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالتحلي بالأخلاق الفاضلة النبيلة والابتعاد عن الصفات المذمومة القبيحة، لأن الله عز وجل يقول: "فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" [النازعات: ٣٧ - ٤١].

أيها الإخوة المؤمنون!

هناك في التعاليم الخلقية للنبي صلى الله عليه وسلم صفات محمودة، وصفات مذمومة، وحقوق وآداب وشروط، فمن الصفات المذمومة القدرة المنتنة: الحسد، والحسد داء الجسد، والحسد تمنى زوال النعمة من صاحبها، وينشأ الحسد من الشعور بالاستعلاء، وضيق القلب للآخر، ونظرية الاحتكار على كل شيء، والبغض والعداوة، وهو يضر بالجسم ويفسد الدين، وقد قيل: الحسود لا يسود، وجاء فيما رواه الترمذي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الخالقة، لا أقول: تخلق الشعر، ولكن تخلق الدين^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

الحسد مرض يسبب حرمان الإنسان من خير كثير، أول قصة للحسد في التاريخ الإنساني وقعت حينما أمر الله تعالى إبليس بالسجود لآدم، فطغى، وبغى، وتمرد من أمر الله تعالى وقال: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" [الأعراف: ١٢].

فقال الله عز وجل: اخرج منها مذؤوما مدحورا، وإن أول

^(١) رواه سنن الترمذي: رقم الحديث (٢٥٠١).

ذنب على الأرض هو قتل قابيل هابيل ، وذلك بالحسد ، قال الله عز وجل : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ " [المائدة: ٢٧] ، وقد شهد التاريخ الإنساني أن يوسف عليه السلام كان أحبّ الأولاد إلى أبيه بخصاله النبيلة وجماله الفريد ، فحسده إخوته ، حتى ألقوه في البئر فحرموا خيراً ، وإن اليهود والنصارى يزعمون أنهم أبناء الله وأحباءه ، وأن النبوة والرسالة تكون دائماً في بني إسرائيل ، فجاءت النبوة في بني إسماعيل ، حسدوا النبي محمداً صلى الله عليه وسلم وأبوا نبوته ، يقول الله عز وجل : " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا " [النساء: ٥١ - ٥٤] .

أيها الإخوة المؤمنون!

الحسد جماع الأمراض والأدواء: النفاق، والرياء، والكفر بالنعمة، وسوء الظن بالله، والغباوة، وعدم الاتزان في الأمور والعداوة، وقطع الصلة، فكيف التخلص منها؟ وقد علمنا القرآن رقيةً نتقي بواسطتها من الحسد، وهي المعوذتان: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم دعاءً، وهو خير سلاح للاتقاء منها: اللهم لا مانع لما

أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد^(١)، وقد قال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد (أدب الدنيا والدين).

وقال الله عز وجل: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [النساء: ٣٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها^٢. (متفق عليه: ١٤٠٩ - ٨١٦)

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه البخاري في الأذان (٨٤ - ٦٣٣ - ٦٤٧٣ - ٦٦١٥)، ومسلم في المساجد (٥٩٣)، أبو داؤد (١٥٠٥)، الترمذي (٢٩٩)، والنسائي (١٣٤١ - ١٣٤٢)، والدارمي (١٣٥٦).
^٢ (متفق عليه: ١٤٠٩ - ٨١٦).

الوسطية في الإسلام

إن الحمد لله، الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ما كثر في أبدأ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي باتخاذ الوسطية شعاراً لكم، لأن الله عز وجل يقول: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [البقرة: ١٤٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن كل شيء في هذا الكون باتساق عجيب واتزان فريد، سواء كانت فيه الأنفس أو الآفاق، وقد قال الله عز وجل: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا" [الفرقان: ٢]، وقال: "صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" [النمل: ٨٨]، وقال: "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" [المؤمنون: ١٤]، فكما أن الاتزان موجود في الأنفس والآفاق فكذلك

في الدين السماوي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

أيها الإخوة المؤمنون:

إن جميع تعاليم الإسلام متميزة من الديانات الأخرى بالوسطية والاعتدال، فالوسطية شعارها وعلامتها، والوسطية ظاهرها وباطنها، والوسطية شعارها وعلامتها، والوسطية عقائدها ومعتقداتها.

لأن النصارى ضلوا ضلالاً بعيداً بقولهم: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" [المائدة: ١٧٢]، وإن اليهود غلب عليه طابع، وهو التفریط والتقصير في هذا الباب: يقول الله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا" [المائدة: ٦٤]، وإن الأمة المسلمة اختارت الوسطية فأمنت بالله عزوجل كما آمن الرسول بما أنزل إليه والمؤمنون.

أيها الإخوة المؤمنون:

الوسطية في الإسلام نظام كامل، لا يخلو في ركن من الأركان ولا في جزئية من الجزئيات ولا في حكم من الأحكام ولا في أصل من الأصول، بل هي عامة في جميع تعاليمه، يقول الله عزوجل بالنسبة إلى العبادات: "وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا" [الإسراء: ١١٠]، وقد علمنا الإسلام الوسطية في الأخلاق والاجتماع: "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" [لقمان: ١٩]، وقد روى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في العبادة^(١)، وقال فيما قال: أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل^(٢).

أيها الإخوة المؤمنون:

فليُفكر كل واحد منا في أن الوسطية توجد في أعماله ونشاطاته وبرامجه وفعالياته، وليدعو في جميع الأحوال حسب دأبه: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" [الفاتحة: ٦ - ٧].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٤٣ - ١١٣٢ - ١١٥١)، ومسلم (٧٤١ - ١٨٥).
^(٢) رواه البخاري: رقم الحديث (٥٨٦١)، ومسلم: رقم الحديث (٢١٥).

القلب أساس كل خير

إن الحمد لله، الذي لا يقول إلا حقاً، وهو أصدق القائلين،
أحمده سبحانه، إله الأولين والآخرين، قيوم السماوات
والأرضين، خالق البشر من الطين، ومالك يوم الدين، وأشهد أن
لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، أما بعد!

فيا أيها الناس! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن تقوى الله
تجارة لن تبور، وأحثكم على مراقبة الله تعالى، فإنه يعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور.

أيها الإخوة المؤمنون!

لكل شئ أصل، ولكل فرع نصاب، فالقلب هو أصل
النظام الجسماني، وأساس النظام الروحاني، إنه يعمل عمله إذا كان
متصفاً بالحياة ومفعماً بالحرارة، ومتدفقاً بالحركة والنشاط، فإذا
فقد المرء أحداً من هذه المقومات والمكونات توقف نظام الجسم،
وبطل نشاطه وانكمش ظله، وذلك ما أشار إليه لسان النبوة في
الحديث المروي عن النعمان بن بشير أنه قال: ألا وإن في الجسد

مضغفة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت
فسد الجسد كله، ألا وهي القلب^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

القلب إما يكون صحيحاً سليماً، وإما يكون ميتاً مشلولاً،
وإما مريضاً، أما القلب الصحيح فهو القلب الخالص من شوائب
الشرك، وقد جاء في القرآن الكريم: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا
مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، والقلب المشلول هو
ما أشار إليه القرآن: "وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ
غِشَاوَةً" [الجاثية: ٢٣]، والقلب المريض هو الذي أصابه علة من
العلل الخلقية من الحسد والبغض والحقد والكبر والبغضاء
والشحناء، يقول الله: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ
أَثْقَبَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَعْرُوفًا" [الأحزاب: ٣٢]، فالقلب هو المحور، والقلب هو القطب
الذي يدور حوله رحى الحياة، ويتأثر به جميع نشاطات الإنسان،
فنظراً إلى هذا قال علي بن أبي طالب: إن لله آنية، وإن من آنيته
القلوب، فلا يقبل منها إلا ما صفى وصلب ورق.

أيها الإخوة المؤمنون! إن باب التوبة مفتوح، فسعيد من انتهز
الفرص، واغتتم الأوقات. وملاً قلبه نوراً وإيماناً. قال قائل: القلب

^(١) رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، مسلم (١٥٩٩)، أبو داود (٣٣٢٩، ٣٣٣٠)،
الترمذي (١٢٠٥)، النسائي (٤٤٥٣)، البيهقي (٦٤/٥)، والبغوي (٢٠٣١).

بيت ، وأبوابه العينان واليدين والرجلان واللسان والسمعان
 والبصران ، فإذا انفتح باب بغير علم ضاع البيت ، وصدق من قال :
 وإن الذنوب تُميت القلوب ، وقد يُورث الذلّ إدمانها ، فحذار أن
 تكون قلوبنا ميتة ومريضة. و تعالوا معي نردّد هذه الكلمات من
 أفواهنا :

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي بصري نوراً ،
 وفي سمعي نوراً ، وفي فؤادي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وفي فوقي
 نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، وأعظم لي نوراً ، وعظم
 لي نوراً واجعلني نوراً ، واجعل لي نوراً ، اللهم طهر قلبي من النفاق
 وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب .

أقول هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
 ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الشورى في الإسلام

إن الحمد لله، الذي أَلَّفَ بين قلوب المؤمنين بالإيمان، وبشَّرهم بالرحمة والغفران، وتقبَّلَ منهم ما أدَّوا لنيل الجنة والرضوان، والصلاة والسلام على سيد الإنس والجان، محمد كثير الخلق والإنسان، وعلى آله وأصحابه ذوي القلوب والجنان، وصلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيأيتها الإخوة المؤمنون! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن تقوى الله أنفع الوسائل والذخائر، وثانياً أوصيكم ونفسي بالتناصر، والتشاور والتحابب والتوادد.

أيها الإخوة المؤمنون!

الشورى في الإسلام منهاج قرآني، وسلوك نبوي، وعنوان عظيم، والشورى نظام اجتماعي، وأصل من أصول الحكم، فهي شعيرة دينية آية التأتي، وبعيدة التقضي، وإن مكانة الشورى تظهر في الإسلام بأن الله أنزل سورةً مستقلةً، وقرنها بأوصاف المؤمنين الصادقين، يقول الله عز وجل: "وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" [الشورى: ٣٨].

أيها الإخوة المؤمنون!

لشورى تاريخ جميل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم،

سواء كانت سِلماً أو حرباً، ففي غزوة بدر شاور أصحابه فيها وفي الخروج واختيار المكان، وفي شأن الأسرى وكيفية التعامل معهم، وفي غزوة أحد استشار النبي صلى الله عليه وسلم في أمور متعددة، وفي غزوة الخندق استحسَن فكرة سلمان الفارسي رضي الله عنه لبناء الخندق، وفي قضية إعطاء ثمار المدينة لغطفان شاور سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وأخذ مشورة أبي بكر رضي الله عنه بقصد المسجد الحرام لأداء العمرة، وما إلى ذلك، أما في السلم ففي الإسراء والمعراج شاور جبرئيل عليه السلام في تخفيف الصلاة وفي قضية الإفك شاور كلا من علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، وفي صلح الحديبية شاور زوجته أم سلمة رضي الله عنها.

أيها الإخوة! تعالوا معي نستعرض مبدأ الشورى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم نجد أن لها مجالاً معيناً ومجالاً محدداً لا تتعداه، وهي الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي من الكتاب والسنة، وأما ما ورد فيه نص فليس أمام المسلم سوى القبول والتسليم، وتكون الشورى في البحث عن كيفية تنفيذه بما يتوافق مع أصول الإسلام.

أيها الإخوة المؤمنون! الصحابة الكرام كانوا حريصين كل الحرص على إرساء مبدأ الشورى، فاختيار خليفة المسلمين وإنفاق أموال الفتوحات الإسلامية ليس إلا من نتاج المشورة، فكانت الشورى ركيزة أساسية في حياتهم، وأتذكر بهذه المناسبة ذلك الحديث الذي رواه الإمام الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: إن المستشار مؤتمن، وجاء فيما رواه أحمد في مسنده: من استشاره أخوه المسلم، فأشار عليه بغير رشد فقد خان.

أيها الإخوة! هذا العصر عصر التفكك والتمزق، عصر التبعض والتشتت، عصر الاستبداد بالرأي والاستعلاء بالفكرة، فالحاجة ماسة إليها أكثر من أمس، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعضولها الأثر، وتموت السنن، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر".

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الشباب ودورهم في المجتمع

إن الحمد لله، الذي كشف عنا الغمّة، ومحا غياهب الظلمة، وأكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وأكرمنا بخير نبي، فكنا خير أمة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، قدوة المؤمنين، وإمام المتقين، أرسله الله تعالى بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، اللهم صلّ وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى دعاة الحق إلى يوم الدين، أما بعد:

فيأيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإن التقوى شعار المؤمنين وثمار الصالحين، ووصية الله في فيكم وفي الناس أجمعين، قال الله عز وجل: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن الشباب في كل أمة عماد مجدها، وأساس نهضتها، ومعقد آمالها، فالأمة تقوى بقوة شبابها، وتضعف بضعفهم، وقد صدق من قال: حياة الأمة بشبابها، وموت الأمة بشبابها، ففترة الشباب

هي فترة القوة والنشاط والعطاء، والعمل والبناء، والجلد والتحمل، فهو كالربيع بين فصول العام، تقع بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، يقول الله عز وجل: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" [الروم: ٥٤].

أيها الإخوة المؤمنون! إن التاريخ الإسلامي لحافل بأولئك الشباب الأمثال الذين قاموا بمآثر وحوالدا ما عفت قدماً، يعطر نشر ذكراها القرونا، فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش، وكان عمره ثمانية عشر، وهذا عتاب بن أسيد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة، لما سار إلى حنين، وعمره نيف وعشرون، وهذا عمير بن العاص الذي اشترك في غمار بدر، ولم يبلغ السادسة عشر من عمره، وهذا عبيد الله بن زياد، قد ولي خراسان، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وولي معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة، وحمل أبو مسلم أمر الدعوة والدولة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وحمل الناس عن إبراهيم النخعي، وهو ابن ثماني عشرة سنة، والأهم فالأهم أن محمد بن قاسم الثقفي قد فتح السند والهند، ولم يبلغ السابعة عشر من عمره.

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال
أيها الإخوة المؤمنون: إن الشباب هم الشريحة الفعالة في
الأمة، وهم عمودها الفقري، وجهازها العضلي، وروحها الحية،

وطليعتها الوثابة، لا يُتصور نجاح دعوة أو حركة لا تقوم على حماس الشباب وقوته.

فقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغتزم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، صحتك قبل سقمك، غناك قبل فقرك، فراغك قبل شغلك، حياتك قبل موتك^(١).

فالشباب هو وقت القدرة على الطاعة، وهو ضيف سريع الرحيل، فإن لم يغتنمه العاقل تقطعت نفسه بعد حسرات.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟"^(٢).

قالت حفصة بنت سيرين: "يا معشر الشباب! اعملوا، فإنما العمل في الشباب، وقال الأحنف بن قيس: السؤدد مع السواد".

وقال ابن عباس: "الخير كله في الشباب".

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) شعب الإيمان: ١٠٢٤٨.

(٢) رواه الترمذي: ٢٤١٧.

يوم القيامة

إن الحمد لله ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وجعل لكل حي مآلاً وأجلاً ، أحمده أن جعل الحياة مزرعةً للأخرة وعملاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، استوى على عرشه وعلا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حذّر عن الشر ودعا إلى الهدى ، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ، أما بعد :

فيا أيها الناس : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، لأن تقوى الله أنفع الوسائل والذخائر ، وأجمع الموارد والمصادر ، فاتقوا الله عباد الله ! حق التقوى وراقبوه في الجهر والنجوى .

أيها الإخوة المؤمنون !

هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم عالم الشهادة ، وهناك عالم آخر ، وهو عالم الغيب ، يقول الله عز وجل : "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" [الحشر: ٢٢] ، وبين هذين العالمين عالم البرزخ ، عالم المثال ، فهذا العالم وإن كان متداخلاً في عالم الغيب ، لكنه مستقل في ذاته ، ومتفرد بصفاته ، وهو يوم الآخرة ، ويوم الامتحان الأعظم ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "لولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون" .

أيها الإخوة المؤمنون! امتحانات الدنيا تصغر وتهون، لكن امتحانات الآخرة أشد خطراً وأخلد أثراً، فيوم القيامة لا يكون الميزان بالدرهم والدينار، ولا بالريال ولا الدولار، العملة الوحيدة في ذلك اليوم الحسنات والسيئات، فهو يوم الأثانية المفرطة، ويوم الفردية المطلقة: يقول الله عز وجل: "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْنِهِ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" [عبس: ٣٤ - ٣٧]، وكل نفس تقول: نفسي نفسي، النجاة النجاة.

أيها الإخوة! يوم القيامة يوم فظيع، وقد تعددت أسماؤه ودواهيته، مجرد سماعها تنخلع القلوب، وتقشعر الجلود، وقال أبو بكر رضي الله عنه: أراك شبتَ يارسول الله! قال: شيبتي هود وأخواتها: الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين، فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت"^(١)، فيا لقساوة قلوبنا أنها لا تنزجر ولا تتعظ.

أيها الإخوة المؤمنون! الاعتقاد بالجنة وجنهم ركن من أركان الإيمان: الجنة مترفلة في حللها ونعيمها، لكن لمن؟ للمؤمنين الصادقين، وجنهم، فاغرة فاها، كاشفة أنيابها، فاتحة أبوابها، لمن؟

^(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٣٣٣٣).

للمؤمنين المخطئين، "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ" [ق: ٣٠ - ٣٢].

وقد جاء فيما رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار"^(١)، ويقال: يا أهل الجنة! خلود بلا موت، ويا أهل النار! خلود بلا موت.

أيها الإخوة المؤمنون! لو استحضر الناس الآخرة، واستحضروا الموت، واستحضروا القبر، واستحضروا القيامة، واستحضروا الميزان والصراط، واستحضروا الجنة والنار لانحلت مشكلات الحياة، ولعادت الأمور إلى نصابها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٤٧٣٠).

الموت آت آت

إن الحمد لله، الذي خلق الموت والحياة، ليلوكم أيكم أحسن عملاً، وجعل لكل حي مآلاً وأجلاً، أحمده أن جعل الحياة مزرعةً للأخرة وعملاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، استوى على عرشه وعلا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حذر عن الشر، ودعا إلى الهدى، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

وبعد: فيأيها الإخوة المؤمنون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن تقوى الله شعار المؤمنين ودثار الصالحين، ووصية الله في فيكم، وفي الناس أجمعين، "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١].

أيها الإخوة المؤمنون!

المنهمك في الدنيا، المكبُّ على غرورها، المحب لشهواتها، يغفل قلبه عن ذكر الموت، فلا يذكره، وإذا ذكر به أحد كرهه، ونفر منه، فالناس صنفان: صنف يعيشون غافلين، لا يفكرون إلا في دنياهم، إلا في شهواتهم، إلا في مصالحهم العاجلة، هؤلاء هم الغافلون، وأولئك الذين قال الله عنهم: "قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُتِبَ تَعْمَلُونَ" [الجمعة: ٨]، وهناك صنف آخر يعلمون أن مع اليوم غداً، وأن غداً لناظره قريب، وكل امرئ مصبِّح في أهله، والموت أقرب من شريك نعله.

أيها الإخوة المؤمنون!

الموت باب، كل الناس داخله، الموت كأس، كل الناس شاربها، الموت حوض، كل الناس وارده، فهو ليس عدماً صرفاً، أو فناء محضاً، بل إنه جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب، الأنبياء كلهم ذاقوا حرارة الموت، فسيدنا نوح عليه السلام، وهو أطول الأنبياء عمراً لما جاءه ملك الموت، حينما جاءه ليتوفاه، سأله يا نوح! كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدت كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر. يوسف عليه السلام لقي في الدنيا ما لقي من محن ومنح، ثم آتاه الله تعالى الملك، وجعله على خزائن الأرض، ثم كان مصيره ما حكاه القرآن الكريم بلسانه: "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَكَيْي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ" [يوسف: ١٠١]، وخير الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم خاطبه الله تعالى بقوله: "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥].

أيها الإخوة! الموت آتٍ آتٍ، وكل آتٍ قريب، إنه لا يدع نبياً ولا ولياً، ولا صغيراً ولا كبيراً ولا فقيراً ولا غنياً، فماذا أعددنا له:

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأكثرهم لما بعده استعداداً، بالله العظيم! ماتت القلوب، فلا هي بالقرآن تنزجر، ولا برؤية الموتى واللحود تتعظ وترتدع^(١)، وقد جاء فيما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، فقيل: وما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت^(٢)، وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم واعظين بليغين: ناطقاً وصامتاً، فالناطق هو القرآن، الصامت هو الموت. وجاء فيما رواه الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أكثروا ذكرهازم اللذات، يعني الموت^(٣).

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) سنن ابن ماجه: رقم الحديث (٤٢٥٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٢ - ٣٥٣).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤).

القبر وأحواله

إن الحمد لله ، الملك العزيز العلام ، العلي العظيم الكريم السلام ، غافر الذنب وقابل التوب من جميع المعاصي والآثام ، أحمده سبحانه على ما اتصف به من صفات الجلال والإكرام ، وأشكره على ما أسداه من جزيل الفضل والإنعام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الإيمان والإسلام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، لأن تقوى الله هي المنقبة الجامعة لخصال الخير ، وقال عبد الله بن عباس : تقوى الله أن لا ترى نفسك خيراً من أحد.

أيها الإخوة المؤمنون ! إن الدنيا دار هموم وغموم ، دار آلام وأسقام ، دار مصاعب ومتاعب ، دار شرور وفتن ، دار أحزان ومسرات ، دار أفراح وأتراح ، وإن القبر دار وحدة وخلاء ، دار دودة وحشرات ، دار رحمة وعذاب ، دار سعادة وشقاء ، فبينهما توافق وتشابك ، هي الدنيا تقول بملء فيها : حذار حذار من بطشي وفتكي ، والقبر يقول كل صباح مساء : أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الغربية ، أنا بيت الدودة ، أنا بيت الظلمة ، أنا حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة.

أيها الإخوة المؤمنون :

القبر أول منزل من منازل الآخرة، فهو عبرة لمن اعتبر، وإنذار لمن انزجر، فالقبر باقة زهر أو طاقة شر، فالإنسان حينما يوضع في القبر ويتولى عنه أصحابه جاء ملكان أسودان أزرقان فيجلسانه ويسألانه : من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول المؤمن : ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً في الجنة، ثم يقال : نم كنومة العروس، وأما الفاجر فيقول : هاه هاه، لا أدري فينادي مناد أن قد كذب : فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، ثم يقال : لا دريتَ ولا تليتَ، فيضرب بمطارق من حديد، يصيح صيحة يسمع بها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، وإن الكافر يسלט عليه تسعة وتسعون تيناً تلدغه وتنهشه حتى تقوم الساعة.

أيها الإخوة المؤمنون! لما دفنت فلذة كبد رسول الله فاطمة بنت محمد خاطب أبوذر القبر قائلاً : أتعلم يا قبر لمن هذه الجنازة؟! هذه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، زوجة علي بن أبي طالب، والدة الحسن والحسين، وسيدة نساء أهل الجنة، فجاء نداء من القبر يا أباذر! القبر ليس مكان الحسب والنسب، بل توزن هنا الأعمال الصالحة، وكان عثمان بن عفان إذا حضر على قبر بكى حتى يبيل لحيته، فسئل عن ذلك، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه، فما بعده

أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد^(١)، وقال السلف: من أكثر من ذكر القبر وجده روضةً من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرةً من حُفر النار.

فيا عُمال الدنيا! لقد عمرتم داراً، موشك بكم زوالها، وخرتتم داراً عما قريب إتيانها، عمرتم بيوتاً لا ترجعكم منافعها وسكنائها، وخرتتم ليس لكم مساكن سواها، فالقبور دار الاستباق، ومستودع الأعمال، فاتقوا الله عباد الله! ومهّدوا لأنفسكم المهاد الحسن يوم موتكم، ويوم بعثكم، ويوم عرضكم على ربكم، فالحياة مرة، والفرصة واحدة، فإذا انتهت فلا كرامة ولا رجوع، قال الله عز وجل: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" [التكاثر: ١ - ٤] وجاء فيما أخرجه مسلم عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم الآخرة^(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٩٢٦٧).

(٢) أخرجه مسلم: رقم الحديث (٦٧٢١ - ٩٧٧).

الفوز فوز الآخرة

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١] ، وأوصيكم ونفسي بإحراز الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة ، لأن الله عز وجل يقول: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" [الحج: ١١].

أيها الإخوة المؤمنون! إن هذا العصر الذي نعيش فيه اليوم عصر التنافس والتسابق ، عصر العقلانية والتنور ، فكل إنسان يسعى ويحاول في تحقيق هدفه ، ونيل بغيته ، لكن السعي المطلوب المحمود هو ما أشار إليه القرآن الكريم: "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا [الإسراء: ١١٩]، ولا شك أن السعي المشكور يرتبط بالكلمة الطيبة التي قال عنها رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم: يا معشر قريش! هو كلمة واحدة، تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم العجم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة المؤمنون! ليس الفوز عبارة عن حصول الجاه والمنصب ونيل الدرر والغرر، بل الفوز الحقيقي هو الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والفوز في الدنيا هو التمتع بمحبة الله عز وجل، والفوز في الآخرة رضوان من الله أكبر، وقد قال الله عز وجل: "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" [آل عمران: ١٨٥]، قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: من هُدي إلى الصراط المستقيم فهو فائز، ومن وقى السيئات فهو فائز، ومن وُفق إلى الحسنات فهو فائز، وهو الفائز الأكبر.

أيها الإخوة المؤمنون! إن الصحابة رضي الله عنهم قد أدركوا هذا السر فكانوا يتمنون الشهادة، ولما استشهدوا قالوا: فزت ورب الكعبة! هذا حرام بن ملحان خال أنس رضي الله عنه، طعن يوم بئر معونة تلقى دمه بكفه، ونضحه على وجهه وعلى رأسه وقال: واها لريح الجنة، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، فقاتل حتى قتل.

وهذا عمير بن الحمام قال: بخ بخ يا رسول الله! قال: وما يحملك على قولك بخ بخ، قال: رجاء أن أكون من أهلها، قال:

فإنك من أهلها، فجعل يأكل التمرات، ثم قال: لئن حييتُ حتى أكل من تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى التمرة وقاتل حتى قتل رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وهذا علي بن أبي طالب طعنه ابن ملجم قال: فزتُ ورب الكعبة.

أيها الإخوة المؤمنون!

الفوز فوز الآخرة، والخسارة خسارة الآخرة، ولا يتحقق فوز الآخرة إلا بتكليف النفس لدين الله تعالى، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى^(١).

ولا يتحقق الفوز إلا بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم: وقد ورد في حديث رواه عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحبَّ أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه^(٢).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٢٤٦١).

(٢) رواه مسلم: رقم الحديث (١٨٤٤).

حادث الإسراء والمعراج

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بتذكر حادث الإسراء والمعراج، لأن الله عز وجل يقول: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [الإسراء: ١].

نحن الآن في شهر رجب، وفي شهر رجب يتذكر المسلمون حادثاً جليلاً من أحداث السيرة النبوية العطرة، ذلك هو حادث الإسراء والمعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن الإسراء رحلة أرضية بين المسجدين المباركين المقدسين: مسجد

الحرام بمكة ومسجد القدس ، والمعراج هو رحلة تبتديء من الأرض إلى السماوات العلى ، إلى مدى لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى :
 "فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" [النجم: ٩ - ١١].

أيها الإخون المؤمنون!

إن حادث الإسراء والمعراج الذي حدث ، له خلفية وسبب ، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قاسى أشد ما قاسى من رفض وإنكار لدعوته ، واشتد حزنه وأذاه لما مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها ، وقد توجه إلى الطائف لبذر دعوته ، لكن أهل الطائف استقبلوه أقبح استقبال له ، وسلطوا عليه العبيد والسفهاء والصبيان يرمونه بالحجارة حتى أدموه عقيبه ، هنالك شكوا إلى ربه ، وناجاه مناجاةً معروفةً رقيقةً نديةً ، ثم كان التكريم ، ثم كان الإسراء ، ثم كان المعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة المؤمنون!

بعث الله أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى محمد ، فغسل صدره بماء زمزم ، وأخرج منه حظ الشيطان وذهب به راكباً البراق من المسجد الحرام إلى الأقصى ، ثم صعد إلى السماوات العلى ، فلقي كلاً من آدم وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، وناجى ربه ففرض عليه الصلوات ، فالصلوات هي التحفة

والهدية والذخيرة التي تلخصت من ذكرى الإسراء والمعراج، وهي معراج كل مؤمن إلى ربه، يستطيع أن يرقى إلى الله يوماً بهذه الصلوات كما جاء في الحديث القدسي: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ حَمْدُنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ: أَنْتَنِي عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجْدُنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" [الفاتحة: ٦- ١٧]، قَالَ هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(١).

أيها الإخوة!

الشيء المهم من ذكرى الإسراء والمعراج هو الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وإنَّ أول آية من سورة الإسراء تبين ألا يفصل المسلم بين هذين المسجدين، ولا يفرط في واحد منها، إذا تركنا المسجد الأقصى يأخذه اليهود أو يعبث به اليهود وليقيموا مكانه هيكل سليمان، فلا يبعد أن نفرط يوماً في مسجد رسول الله أو المسجد الحرام.

فعلينا أيها المسلمون! أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها، لا بد من يوم تقع فيه المعركة مع اليهود، ويكون فيها

(١) أخرجه صحيح مسلم: رقم الحديث (٦٠٣).

النصر المؤزر للإسلام، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه البخاري، كتاب المناقب: ٣٥٩٣.

آفة اللسان وخطورته

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بصيانة اللسان من كل شيء، قال الله "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" [ق: ١٨].

أيها الإخوة المؤمنون!

هذا العصر عصر الفتن والمحن، عصر البلايا والرزايا، لكل إنسان له نصيب منها، صدق على هذا العصر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فستكون فتن كقطع الليل المظلم، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم، وما سبيل النجاة؟ فقال: إملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك^(١).

^(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٢٤٠٦).

أيها الإخوة المؤمنون!

فلاشك أن الله أعطى الإنسان نعماً جليلاً وآلاءً جسيمةً، منها اللسان، فاللسان ترجمان القلب، وخليفته في ظاهر البدن، وهي آلة صمءاء، لها إيجابياتها وسلبياتها، وإذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإننا نحن بك فإن استقمتم استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.

وقد طلب صحابي النصيحة من النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كُفَّ عليك هذا، وأشار إلى اللسان.

وسأل معاذ بن جبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: وهل يكبُّ الناسَ على وجوههم أو على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

من آفات اللسان النميمة، والكلام الفاحش والبهتان والافتراء، حتى الغيبة أشد من الزنا، فسأل الصحابة: يا رسول الله! وكيف الغيبة أشد من الزنا؟ فقال: إن الرجل ليزني فيتوب الله، وإن صاحب الغيبة لا يغفر حتى يغفرها صاحبه^(٢).

وقد قسم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الكلام إلى أقسام، فقال:

(١) رواه سنن الترمذي: رقم الحديث (٢٦١٦)، وابن ماجه: رقم الحديث (٣٩٧٣).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: رقم الحديث (١١٧٩).

١. كلام فيه ضرر محض.
٢. كلام فيه ضرر ومنفعة.
٣. كلام ما لا منفعة فيه ولا ضرر، فهو فضول.
٤. كلام فيه منفعة مائة في مائة.

بسبب ذلك قال العلماء :

مُتُ بَدَاءُ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَاءِ الْكَلَامِ إِنَّمَا الْعَاقِلُ مِنَ الْجَمِّ فَاهٌ بَلْجَامٌ
أَيُّهَا الْإِخْوَانُ!

الصفة الثانية للاتقاء من الفتن سعة البيت ، فإن البيت إذا كان واسعاً لا يخرج الإنسان إلى الشوارع والمنتزهات والأسواق ، فإن شرَّ البلاد إلى الله أسواقها ، فلا يقع زنا العين والرجلين واليدين والقلب والعقل والدماغ ، ولا يبتلى به الإنسان ، أعاذنا الله منه .

أما الصفة الثالثة فهي البكاء على الخطيئة ، لاشك أن ابن آدم خطاءً ، وخير الخطائين التوابون ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة^(١) .

فهذه الصفات الثلاثة تُخرج الإنسان من المصائب والمتاعب .
أقول قولِي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) رواه سنن أبي داود : رقم الحديث (١٥١٤) .

ويأبى الله إلا أن يتم نوره

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جليل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بالصبر والمصابرة والمرابطة على حدود الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [آل عمران: ٢٠٠].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن هناك نظامين لله تعالى: نظاماً ظاهراً يشهده الناس بأم أعينهم، ويمارسونه صباح مساء ليل نهار، وهو ما يعرف في مصطلح القرآن الكريم: بسنة الله تعالى، قال الله تعالى: "سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا" [الأحزاب: ٣٨]، ونظاماً باطناً لا يراه الناس، ولا يطلعون عليه،

لكنه يسير سيره الطبيعي بخفاء وسريّة، وهو معروف بقدرة الله تعالى، قال تعالى: "سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ" [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]، ومعلوم أن المسلمين في الدنيا لا يعتمدون على نظام ظاهر فقط، بل يعتمدون على نظام باطن، هذا الذي يحرك عزائمهم، ويشحذ قوتهم، ويملأهم يقيناً وحماسةً وخوضاً وإقداماً، فبالإيمان بهذا النظام مدح الله المؤمنين في القرآن الكريم فقال: "وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" [البقرة: ٢٢١].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن سنة الله تعالى جارية منذ الأزل إلى الأبد، لكن قدرة الله تعالى ظهرت حيناً لآخر، إيداناً بأن الله هو الرافع والخافض، والنافع والضار، والمعز والمذل، وهو المحي والمميت، "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [آل عمران: ٢٦]، إن قدرة الله عز وجل ظهرت حينما خرجت الناقة من الجبل، إن قدرة الله ظهرت حينما خرج إبراهيم عليه السلام من نار نمرود سالماً معافى، إن قدرة الله ظهرت حينما انثَلَّ حد سكين إبراهيم عليه السلام على حلقوم إسماعيل، وقد ظهرت قدرة الله حينما نجا قوم موسى عليه السلام، وغرق فرعون في اليم مع جنوده وعساكره، وقد ظهرت قدرة الله مع سيدنا عيسى عليه السلام حينما

ولد بدون أب، وإذ يبرئ الأكمه والأبرص، وإذ يخرج الموتى بإذنه، قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" [الأنعام: ١٩٥].

أيها الإخوة المؤمنون!

كم أراد الأعداء الألداء منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يطفئوا نور الله تعالى، ويهدموا صرح الإسلام، لكن جهودهم خابت، ومساعدتهم فشلت، وظهرت قدرة الله صارخة بهذه الحقيقة الناصعة: يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وقد جاء في صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربيها، وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوى لي منها^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

لاشك أن نصر الله عز وجل معقود بهذا الدين، ولن تغرب شمس هذا الدين كائناً ما كان، إلى أن يرث الأرض ومن عليها، بشرط أن يكون هناك الإيمان قوياً، والعمل الصالح مخلصاً لله، وقد ظهرت نماذجه في زمن أبي بكر الصديق، حينما قاوم المرتدين بقولته البليغة: أينقص الدين وأنا حي، وظهرت نماذجه في قصة عقبة بن

(١) رواه مسلم: رقم الحديث (١٩).

نافع الذي فتح باسم الله المغرب، وظهرت نماذجه في همة الإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن، وفي همة طارق بن زياد، وفي كل زمان ومكان، وفي عصرنا هذا بالذات.

فطوبى لأولئك الأبطال المغاوير الذين ضحوا بحياتهم، وفدوا نفوسهم في سبيل إعلاء سبيل الله، وسلام على تلك الأرواح الجريئة الباسلة التي وقفت أمام الدبابات والصواريخ والقنابل المدمرة، ونرجو أن دماء الشهداء في كل مكان لا تذهب هدراً بل تنبت نباتاً، فتخضر حقول الأرض من مشارق الأرض ومغاربها، "وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" [الروم: ٤ - ٥].

قال الله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ" [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٦]، وقد ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب^(١).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه أحمد: رقم الحديث (٢١٢٢٢) - (٢١٢٢٠) - (٢١٢٢١).

إصلاح الفرد والمجتمع

في ضوء سورة الحجرات

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه ونشكره على جميل آلائه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بالتحلي بالآداب الإسلامية في الحياة الفردية والجماعية، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الأنفال: ٢٩].

أيها الإخوة المؤمنون!

كل مجتمع يتكوّن من عنصرين مهمين: وهما مؤثران للغاية في بناء الإنسان، أحدهما: الفرد، وثانيهما: الجماعة، بل الواقع أن المجتمع يتركب من الأفراد، أما الجماعة فهي مجموعة منها، فإذا صلح الأفراد صلح المجتمع، وإذا فسد الأفراد فسد المجتمع، وكان

جُمَاع الأمراض والعاهات، واستشرى مرضه وتعدى خطبه إلى الآخرين، فتعود تبعته عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سنَّ القتل، من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

فإذا كان أفراد المجتمع مطلعين على الإيمان بالله، والعدل والإنصاف، والعلم الإلهي، وأداء كل ذي حق حقه، وإكرام كل كبير وصغير، ورعاية حقوق الآخرين، وكانوا متحلين بالصفات النبيلة كان المجتمع الإنساني طاقة زهر لاشوك فيه، وباقية أزهار تفوح منها الروائح الطيبة، وإذا كان الأمر بالعكس كان المجتمع ناراً تتأجج، وشعلة تشتعل، وكان وصمة عار وشنار على جبين الإنسانية، قال الله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [التوبة: ١٧١].

أيها الإخوة المؤمنون!

هنا ينشأ سؤال، وهو متى يكون المجتمع والأفراد صالحين؟
لقد ذكر الله تعالى مبادئ سديدة وأسساً قويمَةً لإصلاح

(١) رواه البخاري: ٣٣٣٦.

الأفراد والمجتمع في سور متعددة، من النساء، والنور والأحزاب والحجرات، فهاتان السورتان من النور والحجرات مهمتان من هذا الباب، إنَّ سورة النور تتحدث عن أمراض المجتمع، وتسلب الضوء على الآداب الاجتماعية، وتشتمل على أصول وقواعد لا يستغني عنها أي مجتمع إنساني، قال الله تعالى: "سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [النور: ١]، وهذه السورة تشتمل على حدود الزنا واللعان والقذف والإفك، وتغطي هذه السورة جوانب الحياة الاجتماعية، مثل غض البصر، وتزويج الأيامي، والحجاب وعدم اتباع الشيطان والاستئذان وقت دخول البيت فكرة استخلاف الأرض، والأهم المهم أن الله تعالى نور السماوات والأرض، وهو ينور الكائنات وينور قلب الإنسان، يهدي الله لنوره من يشاء، والله بكل شيء عليم.

أيها الإخوة المؤمنون!

وهناك سورة باسم سورة الحجرات، وهي سورة مدنية، وتشتمل على ثماني عشرة آية، ونزلت هذه السورة بعد صلح الحديبية، وهي دستور كامل للحياة الفردية، وتتحدث عن أمراض الأفراد كما تقدم حلاً شافياً لهذه الأمراض.

تتلخص السورة في عدة نقاط:

١. احترام كل ما جاء من عند الله تعالى، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢. تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك باحترام سنته .

٣. يجب الثبوت في الأخبار حتى لا يؤدي عدم الثبوت في الأخبار إلى نتائج سيئة ، وأثار ضارة بالأفراد ، مثل القتال والخصام ، قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا " [الحجرات : ٦].

٤. هذه السورة تتحدث عن قسمين اثنين من الناس : قسم حاضر ، وقسم غائب من المسلمين ، أما القسم الحاضر من الناس فهو عدم السخرية وعدم التنايز بالألقاب ، قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ " [الحجرات : ١١] ، وأما القسم الغائب فهو الظن السيء له والغيبة والتجسس لكشف عورات المسلمين وفضح أسرارهم ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ " [الحجرات : ١٢] ، قال صلى الله عليه وسلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، وهي الحالقة ، لا أقول : تخلق الشعر بل تخلق الدين ^(١) .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد : ٤١٢

٥. تتحدث السورة عن التفاضل بين الرجل والمرأة بالتقوى، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" [الحجرات: ١٣].

٦. تتناول السورة الشكر على نعمة الإيمان والهداية إلى طريق الخير، قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" [الحجرات: ١٥].

أيها الإخوة المؤمنون!

لن يصلح الفرد والمجتمع إلا إذا كان عنده نفور تام من الذنوب والمعاصي، والتزام قوي بالآداب الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن هذه الآداب تمهد الطريق نحو بناء حياة الفرد والمجتمع، فلنكن حريصين على اختيار هذه الآداب والعمل بها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم أسهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم، وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً^(١).

(١) أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير.

فإذا أصلحنا أمورنا والتزمنا بالآداب الفردية والجماعية
أعطانا الله فرقاناً، والفرقان هو النور، والفرقان هو الهداية،
والفرقان هو العلم.

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل
ذنوب، إنه هو الغفور الرحيم.

تمثيل القدوة الحسنة

إن الحمد لله، حمداً كثيراً، طيباً مباركاً فيه، نحمده على
جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير،
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وعلى
آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله عز وجل
يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بتقديم النموذج
الكامل والقدوة الحسنة من وجودكم، لأن الله عز وجل يقول: "يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" [النساء: ١٣٦].

أيها الإخوة المؤمنون!

النموذج الأعلى والقدوة الحسنة والسيرة المثالية عبارة
الصفات الإنسانية النبيلة، التي يتحلى بها الإنسان في حياته، فهي
تتسع من العقائد والعبادات إلى المعاملات والأخلاق حتى

العقوبات والقضاء والمواريث، وغاية هذا النموذج لا تتحقق إلا باختيار القيم العالية والانصباع بالصبغة الربانية لا بالصبغة اللونية والجنسية والعرقية والوطنية مثل اليهود والنصارى، قال الله تعالى: "صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" [البقرة: ١٣٨].

أيها الإخوة المؤمنون!

هذه السيرة المثالية لها خصائص وميزات، ومنها الربانية، فالإنسان الحقيقي لا يجيد عنها قيد شعرة، فهو رباني المصدر ورباني الغاية، يبدأ حياته بكلمة التوحيد، ويفارقها ناطقاً بكلمة لا إله إلا الله، ويجمع بين العلم والعمل والتعليم، قال الله تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [الأنعام: ١٦٢]، وصاحب هذه السيرة يتحلى بالاتزان والوسطية، قال الله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [البقرة: ١٤٢]، وصاحب هذه السيرة المثالية يتفرد بخيرية العالم قال الله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" [سبأ: ٢٨]، وصاحب هذه السيرة يتميز بالأنفة وعزة النفس، قال تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" [يوسف: ١٠٨].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن الأنبياء العظام من لدن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم كانوا أعلى نموذج لهذه السيرة، إن سيرتهم تمتاز بالالتجاء الكامل إلى الله تعالى، والتجرد الكامل من التفكير في المنافع المادية، والتجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والقلب، والاعتناء الكامل بتربية النفوس، وقد سرت هذه الصفات فيها سريان الماء في عروق الشجر، والكهرباء في الأسلاك، فكان وجودهم رحمةً، وكانت حياتهم بركةً وقياماً للناس، فقد أحدثوا انقلاباً حير العقول والألباب.

هذا إبراهيم عليه السلام، بمجرد كلامه بهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

وهذا موسى عليه السلام قد أفحم فرعون وجنده بكلامه وفصاحة لسانه، قال الله تعالى: "وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ" [الذاريات: ٣٨ - ٤٠].

وهذا عيسى عليه السلام لما كاد اليهود أن يقتلوه رفعه الله إليه كان الله عزيزاً حكيماً.

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم جاء إليه عمير بن وهب لقتله، لكن انقلب أمره بمجرد سؤال النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، وهذا خالد بن الوليد أسلم بمجرد سماع قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما بال خالد! ألم يعلم أني رسول الله" وهذا

(١) السيرة النبوية للإمام الندوي.

فضالة بن عُمير أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن مجرد سؤال النبي صلى الله عليه وسلم إياه غيرَ ذهنه وعقليته.

أيها الإخوة المؤمنون!

الصحابة الكرام الذين تربوا في أحضان النبوة ونشأوا في مهد الرسالة تحلّوا بالنموذج الأعلى ، حتى عُرفوا لدى الأعداء أنهم رهبان بالليل وفرسان بالنهار ، وقد صدق سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم حينما قال : " من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم أبر الناس قلباً وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً " ، والتاريخ الإسلامي يشهد أن العلماء الربانيين بحسن سيرتهم ، وجودة تعاملهم جعلوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، وجاء الملوك والأمراء إلى زواياهم وتكايهم صاغرين ذليلين ، فهذا الإمام الحسن البصري رحمه الله قد اهتدى به خلائق ، لا يحصون بحد ولا عد ، ولا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالج ، وقد صدق قائل عنه : ما أشبه الحسن إلا نبي ، أقام في قومه ستين سنة يدعوهم إلى الله تعالى ، وهذا عبد الرحمن بن الجوزي مرةً فرغ من موعظة فطارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراقاً إلى أن علا الضجيج ، وتردد بشهقات النشيج وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح^(١).

(١) رحلة ابن جبير الأندلسي.

أيها الإخوة المؤمنون!

هذا النموذج الأمثل لا ينشأ إلا إذا كان هنا نوعان من العبادات: عبادة ظاهرة وهي الاهتمام بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وعبادة باطنة، وهي التقوى والإخلاص والتوكل والشكر والصبر، وهذا لا يتحقق إلا بتجديد الإيمان بالله تعالى، وإفراغ القلب من البغض والحسد، والنميمة والكذب والهمز واللمز، وقد جاء في الحديث النبوي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جددوا إيمانكم، قالوا: وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله^(١)، وقال الله تعالى: "أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [الأنعام: ١٢٢].

وقد روي عن حارثة بن النعمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد، وسوء الظن، قيل: ما يذهبهن يا رسول الله! قال: إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض^(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده

(٢) أخرجه الترمذي في سننه

.....ولكن كونوا ربانيين

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيأيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بتحلية القلوب بحلى اليقين والإيمان وتزكية النفوس من الذنوب والآثام، لأن الله عز وجل يقول: "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ" [آل عمران: ٧٩].

أيها الإخوة المؤمنون!

كل واحد يريد أن ينال رضا الله تعالى، ويتقرب إليه، ولاشك أنه يكدر في هذا بوسائل شتى وإمكانيات متعددة، فتارة يربح، وتارة يخسر، لكن المنهج الأفضل للتقرب إليه هو الفرائض

والنوافل ، فإذا تقرب إليه عبد نال بغيته وفاز بمرامه ، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي مروياً عن ربه تبارك وتعالى : وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه^١. (رواه البخاري)

أيها الإخوة!

للفرائض آفاق رحبة ، وللنوافل مجالات واسعة ، فيأتي ضمن الفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وبر الوالدين وأداء كل ذي حق حقه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما يأتي في النوافل : صلاة التهجد والصدقة النافلة وصلوات التطوع ، فأداء الفرائض والنوافل على أتم صورة يجعل الإنسان ولياً من أولياء الرحمن لا من أولياء الشيطان.

الأنبياء العظام كانوا على درجة عالية من التقرب إلى الله ، يعيشون في هذه الدنيا متجردين عن كل سلاح مادي ، فلم يضعفوا عن مقاومة الفتن ، ولم يترددوا عن مجابهة البلايا والمحن ، ذلك لأن صلتهم بالله كانت قوية كما قال الله تعالى : " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ" [آل عمران : ١٧٩] ، فهؤلاء ثمانية عشر من الأنبياء من سورة الأنعام من نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان

^١ . رواه البخاري.

وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ،
 وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ، كانوا طول حياتهم محاصرين
 مع أولياء الشيطان ، فقهرتهم بصفاتهم الربانية وخصائصهم
 السماوية.

أيها الإخوة المؤمنون!

كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على قمة عالية من
 الربانية وهي الفرائض والنوافل ، فلم يضره كيد الكائدين ، ولم
 يؤذنه مكر الماكرين ، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، وقد
 شهد بذلك أبو سفيان في مجلس هرقل : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة
 إنه يخافه ملك بني الأصفر ، إنَّ الصحابة رضي الله عنهم خرجوا
 من جزيرة العرب في ثياب صفيقة وأفراس قصيرة ، فتحدوا
 الأكاسرة والقيصرة ، وقرعوا الفراعنة والنماردة ، وجاءت الدنيا
 ذليلة مهانة إلى أقدامهم ، " مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
 اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"
 [الأحزاب: ٢٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

التاريخ الإسلامي يشهد أن سلفنا الصالح رأوا فتناً متأججة ،
 وأوضاعاً مشتعلة ، فلم يمتثلوا رعباً ، بل قالوا بكل صراحة : ما
 يصنع بي الأعداء ، إن جنتي في صدري ، وقالوا : من لم يدخل
 جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة.

وكان الشيخ السيد آدم علي بنوري قد بلغ من المهابة والخشية والاحترام الفائق ما قد يحسد لهم عليه أكبر ملوك العالم، وقد دخل لاهور، وكان في معيته عشرة آلاف من المشايخ والأشراف ومئات من العلماء، حتى توجس منه شاهجهان خيفة، وكان الشيخ محمد زبير السرهندي إذا خرج من بيته ألقى له الأغنياء الشيلان والمناديل حتى لا يبطأ الأرض، وكان في عصر السلطان شمس الدين الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكي، فطالما كان السلطان شمس الدين يدخل عليه في الليل، ويخدمه ويغمرز رجله ويبيكي.

أيها الإخوة المؤمنون!

فالولاية ليست مظهراً من المظاهر، أو شكلاً من الأشكال، بل هي خصلة تقوي علاقة الإنسان بالله تعالى، وتربط صلته بالرب ربطاً وثيقاً، وهي لا تتحقق إلا بالأداء الفرائض والنوافل.

وإذا اتصف إنسان بالولاية الإلهية والربانية السماوية ذابت أمامها القوى الباطلة، وتضاءلت منها الأشباح والأشكال، وعاش الإنسان فرحاناً مسروراً.

أيها الإخوة المؤمنون!

التاريخ الإسلامي يشهد أن هناك دولة روحية بجانب دولة مادية، عاش فيها الناس مستريحين مطمئنين، كلما رأوا فتناً وأوضاعاً ملتهبة لم يمتلئوا رعباً بل تحدوا الفتن والظروف، حتى

ماتت في عقردارها. فالحاجة إلى أن نكون مع الربانيين،
ونصاحبهم ونستفيد منهم.

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ" [التوبة: ١١٩].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين،
فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

لئن شكرتم لأزيدنكم

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على
جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر،
والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا
الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم
ياحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله تعالى يقول:
"وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ"
[النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بالشكر على آلاء الله ونعمائه
الجسيمة، قال الله تعالى: "كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا
لِلَّهِ إِنَّ كُتُوبَكُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" [البقرة: ١٧٢].

أيها الإخوة المؤمنون!

من العبادات التي تتبع من صميم القلب: التقوى،
والإخلاص، والتوكل، والصبر والشكر، ولا شك أن الشكر صفة
محمودة، وخصلة طيبة، فالشكر لغة: تقديم علف قليل للحيوان
فإذا بالحيوان يُدرُّ لبناً كثيراً، ومنه اشتق المعنى الاصطلاحي إبداء

عواطف التقدير والاحترام بدلاً من تعامل حسن وسلوك طيب، سواء كان من الله أو من أي فرد، وهذا التقدير والاحترام يتحقق من القلب واللسان وأعضاء الإنسان، قال الله تعالى: "اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" [سبأ: ١١٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

الشكر واجب على كل نعمة صغيرة وكبيرة، وهو شرط أساسي للعبادة، وعلامة للإيمان، وعدم الشكر هو كفر وجحود لنعم الله عز وجل، ودليل على الفسوق والعصيان، لأن من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، وهذه قاعدة ثابتة في باب نعم الله تعالى أن الإنسان كلما شكر النعمة كثرت وتزايدت، وكلما كفر النعمة عوقب بحرمانها، ولحق به عذاب أليم، قال الله تعالى: "لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" [إبراهيم: ١٧].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن أكثر الناس شكراً لله عز وجل الأنبياء، قال الله تعالى عن سيدنا نوح: "إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا" [الإسراء: ٣]، وقال عن إبراهيم: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [النحل: ١٢٠]، وقال عن سليمان عليه السلام بلسانه: "هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" [النمل: ٤٠]، وقد حَرَّضَ اللهُ تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على

العبادة والشكر فقال: "بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ" [الزمر: ٦٦]، فكان صلى الله عليه وسلم إماماً للشاكرين، جاء في الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه، ف قيل له: يا رسول الله! أما غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال صلى الله عليه وسلم: أفلا أكون عبداً شكوراً^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

إن القرآن الكريم تناول ذكر الكافرين لنعم الله عز وجل، فأحلوا قومهم دار البوار، وهذه مكة كفرت بالله والنبي والكتاب فأنزل الله عليها عذاباً عاجلاً، قال الله تعالى: "وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّٰهِ فَأَذَقَهَا اللّٰهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" [النحل: ١١٢].

وهؤلاء أصحاب الجنة، وقد احترق بستانهم بعدم الشكر لله عز وجل، قال الله عز وجل: "قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ" [القلم: ٢٩-٣٢].

وهذا صاحب الجنتين في سورة الكهف قد أتى عليهما ما أتى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق: ٦١٠٦

حتى صار متأسفاً على ما فات: "وأُحِيطَ بِشَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" [الكهف: ٤٢].

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم! كنت مريضاً فما عدتني، وكنت جائعاً فما أطعمتني، وكنت ظمآن فما سقيتني، يقول ابن آدم: وكيف ذلك يارب العالمين يقول الله تعالى: إن عبيد فلاناً كان جائعاً ومريضاً وعطشان، فلو ذهبت إليه وجدتني^(١).

أيها الإخوة! إن طرق الشكر متعددة، منها التقوى، قال: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [آل عمران: ١٢٣]، ومن طرق الشكر: العبادة والتضحية: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [البقرة: ١٨٥]، ومن طرق الشكر: السؤال والتضرع، والتوسل إليه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني ذكرك وشكرك وحسن عبادتك^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : ٢٥٦٩

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على
جزيل نعمائه ونشكره على جميل آلائه ، هو الأول والآخر
والظاهر والباطن ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين ، أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، لأن الله عز وجل
يقول : " وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا
اللَّهَ " [النساء: ١٣١] وأوصيكم ونفسي بالإكثار من ذكره تعالى ،
لأن الله عز وجل يقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

أيها الإخوة المؤمنون!

كل واحد منا يتمنى أن يكون سعيداً مكرماً ، ويعيش عيشةً
هنيئةً مريئةً ، لا ينغصها شيء ، ولا يكدرها أمر ، فيبني لذلك
القصور ، ويشتري لذلك الحاجيات اللازمة ، ويكتسب من
التسهيلات وأسباب الرفاهية ما يجعل الحياة الظاهرة حسنة
وجميلة ، ولاشك أن هذه الأشياء من لوازم الحياة ، لكن الحياة

السعيدة لا تأتي بها فقط ، بل تأتي بغذاء الروح وقوتِ الباطن ،
ونيل طمأنينة القلب ، ألا وهو ذكر الله عز وجل ، عن أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر ربه مثل الحي
والميت ^(١) .

أيها الإخوة المؤمنون !

فالذكر عبادة جليلة ، وهو أيسر العبادات ، وهو منجاة من
عذاب الله ، وسبب الابتعاد عن الذنوب ، وباب من أبواب المعرفة
الإلهية ، قال الله تعالى : " فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونَ " [البقرة: ١٥٢] ، وقال تعالى : " رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا
بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ " [النور: ٣٧] ، والذكر له نوعان : ذكر اللسان
وذكر القلب ، وكلا النوعين مشروعان في الشريعة الإسلامية ، وقد
شهد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال روايةً عن ربه
تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منه ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم والبيهقي .

(٢) أخرجه البخاري والترمذي والنسائي .

أيها الإخوة المؤمنون!

المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا ذكر الله تعالى ، ولا ينال ظل الله يوم القيامة إلا إذا كان خالياً ففاضت عيناه ، هذا نوح عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى عنه : " وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ " [الصافات : ١٧٥] ، وهذا أيوب عليه السلام ، قال الله تعالى عنه : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " [الأنبياء : ٨٣] ، وهذا يونس بن متى قال الله تعالى عنه : " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " [الأنبياء : ٨٧] ، وهذا زكريا عليه السلام ، قال الله تعالى عنه : " ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا " [مريم : ٢ - ٣] .

أيها الإخوة المؤمنون!

فالذكر من صفات عباد الله الصالحين ، وسيما الربانيين ، وعلامة الأولياء وشعار العارفين ، قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [الأنفال : ٢] ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس ذكراً لله وأخشاهم لله وأتقاهم لله ، والصحابة كانوا كثير الذكر والدعاء لله تعالى ، جاء عبد الله بن بسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال

لسانك رطباً بذكر الله^(١)، ومعنى كون اللسان رطباً: هو الإكثار من ذكر الله تعالى واللهج به، وهذا الإمام الحسن البصري رحمه الله يقول: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وجدتم، وإن لم تجدوا فاعلموا أن الباب مُغلق. (لا قَدَّرَ اللهُ)

أيها الإخوة المؤمنون!

كل جارحة من جوارح الإنسان لها عبادة، فعبادة العين أن تغض بصرك عن محارم الله، والأذن لها عبادة، واليد لها عبادة، وعبادة القلب هي ذكر الله تعالى، وجميع العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج لها أوقات خاصة، لكن الذكر ليس له وقت خاص وهو غير موقت، وهو مطلوب من كل مسلم أومسلمة، واعلموا أيها الإخوان! أن الله حينما ذكر عشر صفات في سورة الأحزاب لم يذكر الإكثار من الصلاة والصيام، لأن فيه جهداً وتعباً ومشقةً كبيرةً، بل ذكر الإكثار من عبادة الذكر لأنه لا يوجد فيه الجهد والتعب الكثير، قال الله تعالى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِتِينَ وَالْقَائِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ"

(١) أخرجه ابن أبي شيبة.

[الأحزاب: ٣٥]، وقال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

أيها الإخوة!

نحن طلبة العلم والدين، نشغل دائماً بالقرآن والحديث والفقهاء والسيرة وأمثال ذلك، فلسنا مستغنين عن الذكر والدعاء إلى تعالى، انظروا كيف يوجه الله خطابه إلى موسى وهارون عليهما السلام وهما مشتغلان بالدعوة إلى الله ونيل رضاه، لكنه يقول: "وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي" [طه: ٤٢]، معناه الذكر مطلوب في كل حال، وقد جاء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الدنيا ملعونة، وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما وآلاه، وعالمًا ومتعلمًا^(١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي، فقال: يا محمد! أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر^(٢).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي في باب الدعوات.

الدعاء سلاح المؤمن

الحمد لله رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والصلاة والسلام على أفضل البشر وسيد البرية سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الأمين الشفيق لأمته والرؤوف بها الرحيم.

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عزّ وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالالتجاء إلى الله تعالى، لأن الله عزّ وجل يقول: "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [الأعراف: ٥٥].

أيها الإخوة المؤمنون!

أنتم تعرفون معرفة جيدة أن الإنسان خلقه الله تعالى في الدنيا خليفة، وسخر له الأشياء كلها، فإن الله سبحانه وتعالى خصص لعباده الدعاء سلاحاً لجميع المشكلات والمصيبات والمضرات من الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والبدنية، وجعله سلاحاً

للمؤمن ومخ العبادات ، وجعله الله تعالى الواجب الأساسي والهدف الأكبر للمسلمين في كل أزمانهم وعهودهم.

قال الله تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" [البقرة: ١٨٦].

أيها الإخوة المؤمنون!

إن الدعاء عبادة من العبادات وعمل من الأعمال ، بل هو أفضلها ، فالدعاء دليل على التوكل والتفويض إلى الله تعالى ، لأن الداعي يكون في حال دعائه مستعيناً بالله ومفوضاً أمره إليه وحده دون سواه.

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال أيضاً : الدعاء هو العبادة^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

وعد الله تعالى لعبده الإجابة ، بشرط أن يدعو باضطرار القلب ، وإخلاص النية ، صار الدعاء هو سلاح المؤمن ، وكان

(١) أخرجه. أحمد في مسنده

الدعاء سلاحاً في المعركة التي انتصر المسلمون فيها، وإنما نصرهم الله بدعائهم، هذا سلاح قويّ، يستخدمه المسلم في جلب الخير ودفع الضرر، وكان سلاح الأنبياء في أصعب المواقف، وقد اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدعاء في حالات شاقة، وقد استعمله في غزوة بدر بصورة كبيرة، وكانت الظروف في تلك المعركة، لا توافق المسلمين في شأن القتال، لأنهم كانوا ضعفاء جداً، لأنهم خرجوا لعملية قصيرة، بدون أهبة كبيرة للقتال، فاعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وسيلة الدعاء بصورة خاصة، وتضرع كبير، استخدم هذا السلاح وهو سلاح المؤمن، وكان يدعو ويبكي، ويتضرع إلى الله، ويقول: "يا رب! إن تهلك هذه العصابة لن تعبد" فنفع هذا السلاح نفعاً كبيراً وانقلبت المعركة ظهراً لبطن، وكذلك اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعاً من الوسائل والأسلحة لمواجهة المناسبات والوقائع، وأساس كل ذلك هو الإيمان بالله وبقدرته وبنصره واختيار سبيل الدعوة.

أيها الإخوة المؤمنون!

وكذلك نبي الله أيوب عليه السلام استخدم هذا الدواء بعد ما نزلت به أنواع البلاء وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد عنده،

وهو في ذلك كله صابر محتسب ، فلما طال به البلاء دعا ربه قائلاً :
 "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً
 مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ" [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

أيها الإخوة المؤمنون!

فكم من بلاء رُدَّ بسبب الدعاء ، وكم من مصيبة كشفها الله
 بالدعاء ، وكم من ذنب ومعصية غفرها الله بالدعاء ، وكم من
 رحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استجلبت بسبب الدعاء من نصر وعز
 وتمكين ورفع درجات في الدنيا والآخرة ، فله ما أعظم شأن
 الدعاء ، وقال صلى الله عليه وسلم : من فتح له منكم باب الدعاء
 فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً ، يعطي أحب إليه من
 أن يسأل العافية ، إن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، فعليكم
 عباد الله بالدعاء^(١) .

وفي الجملة أن الدعاء هو من أنفع الأدوية ، وهو طريق
 النجاة وسلّم الوصول ومطلب العارفين وملجأ المستضعفين ، فإن
 المسلمين بأشد حاجة في معالجة قضاياهم والخروج من أزماتهم مع

(١) أخرجه الترمذي.

اتخاذ التدابير المناسبة إلى الدعاء، وهو سلاح المؤمن أيضاً.

أيها الإخوة!

إن الدعاء كان سلاحاً لكل مؤمن ومؤمنة، وخاصة (بقوله): للأنبياء، فقد استند إليه نوح عليه السلام في إزالة قوم كافرين. بقوله: "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" [نوح: ٢٦]، واستند إليه سيدنا إبراهيم وقت بناء الكعبة المقدسة: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [البقرة: ١٢٧]، واستند إليه يونس عليه السلام في بطن الحوت بقوله: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" [الأنبياء: ٨٧].

فعلينا أن نهتم بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، ونطلب منه جميع حاجاتنا ولا نياس منه أبداً، قال الله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" [الزمر: ٥٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

استقبال السلف الصالح لشهر رمضان

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه، ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي بالمسارعة إلى الخيرات في شهر رمضان، لأن الله عز وجل يقول: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: ١].

أيها الإخوة المؤمنون!

نحن على أبواب شهر رمضان المبارك، شهر البركات والخيرات، شهر الحسنات والانتصارات، شهر الصيام والقرآن، شهر البرِّ والإحسان، شهر الرحمة والغفران، والعتق من النيران، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر تُصَفَّد فيه جميع الشياطين،

وتزين فيه الجنة، وتستغفر فيه الحيتان، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، شهر ينادي فيه الملائكة يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أدبر وأقصر، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [البقرة: ١٨٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

فإذا كان هذا الشهر قد اختص بأمور كثيرة وكثيرة، فما هو استقبالنا لهذا الشهر، كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبله بهذا الدعاء: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان، وكان صلى الله عليه وسلم يبشّر أصحابه بقدم رمضان، بقوله: قد جاءكم شهر رمضان، وكان صلى الله عليه وسلم يعيش رمضان دعاءً منقطع النظير بقوله: للصائم دعوة لا ترد، وكان صلى الله عليه وسلم جعل رمضان مدرسةً روحية يجدّد لقاءه بربه تبارك وتعالى، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبرئيل، فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان صلى الله عليه وسلم: إذا دخل رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشدّ مئزره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: من صام رمضان إيماناً واحتساباً

غفر له ما تقدم من ذنبه^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

إن سلفنا الصالح كانوا يستقبلون شهر رمضان بفارغ الصبر، فنفسهم كانت متشوقة إلى رمضان، وقلوبهم كانت متلهفة إلى هذا الشهر المبارك، فهذا إمام دا رالهجرة مالك بن أنس إذا دخل رمضان أغلق كتبه، وامتنع عن الفتيا وأقبل على القرآن، وهذا الإمام الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة، وهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري يختم ثلاثين ختمة، وكان الإمام أحمد بن حنبل يختمه كل أسبوع، لكن إذ دخل رمضان ختمه في الأسبوع مرتين، مرة في الليل، ومرة في النهار.

أيها الإخوة المؤمنون!

الناس قسمان في استقبال رمضان، قسم فرح به وأتاه من الفرح ما الله به عليم، فسجّل اسمه في الأسماء التي تعرض كل ليلة على الله لتعتق رقبته من النار، "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" [آل عمران: ١٨٥]، وقسم يستقبل رمضان استقبالا بارداً ميتاً، يعيش في غفلة من رمضان وبعد رمضان، وإذا دخل رمضان أمضوا نهارهم في النوم، وأمضوا ليلهم في السهر، قال الله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا

(١) رواه البخاري (٣٨) (٢٠١٤).

يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلِيَّكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"
[الأعراف: ١٧٩].

أيها الإخوة المؤمنون!

من أعظم ما نستقبل به رمضان أن نجدد توبتنا وعودتنا إلى الله، فإذا انسلخ رمضان وما غفرلنا فقد خسرنا خسراناً مبيناً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: رغم أنفه، قالوا: من يا رسول الله! قال: من أدركه رمضان فلم يغفر له.

ونستقبل رمضان، كموسم للعفو والرحمة والعتق من النيران، كان لبعض العظماء في الجاهلية يوم يسمى يوم العفو، كان النعمان بن منذر يستقبل رعيته في ذلك اليوم، فمن زار أعفاه عن الإعدام والحبس والضرائب والمكوس، ويوم العفو أشبه بكثير من شهر رمضان، فمن أراد العفو فليستقبل هذا الشهر المبارك، قال الله صلى الله عليه وسلم: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن من الخطايا إذا اجتبت الكبائر^(١).

ونستقبل رمضان بحيث نجعل البيت بيتاً إسلامياً، ويعيش البيت معالم رمضان، فمن المسئول عن هذا البيت: الأب والأم، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"
[التحريم: ٦].

^(١) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٣٣).

أيها الإخوة المؤمنون!

لا نستقبل رمضان بالنوم بعد صلاة الفجر إلى وقت طويل ولا نستقبل رمضان بكثرة الأكل والشرب من أسود وأحمر وحلو ومرّ ومكسور ومفتوت، ولا نستقبل رمضان بالجهل من أحكام رمضان ومسائله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه^(١).

ندعو الله أن يهّل علينا هلال رمضان بالخير والبركة، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله، هلال رشد وخير.

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (١٩٠٣).

كيف نستقبل الشهر الفضيل؟

إن الحمد لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، نحمده على جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيأيتها الإخوة المؤمنون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالمسارعة إلى الخير، قال الله عزوجل: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: ١٣٣].

أيها الإخوة المؤمنون:

إن لله عزوجل نفحات وهبات نسيم، تأتينا حيناً لآخر، تذكرنا كلما نسينا، وتنبهنا كلما غفلنا، وتقويننا على عزائم الخير، كلما ضعفنا، ومعلوم لديكم أن شهر شعبان قد أذن بالرحيل، ويكاد شهر رمضان يظلنا بأنواره المشرقة.

أيها الإخوة المؤمنون:

ما أجمل الشهر وما أروع، وهو شهر العبادة والنصر، شهر المؤاساة والبر والتراحم والصبر، شهر تنزل فيه الرحمات، وتغفر فيه

الزلات، شهر تكفر فيه السيئات، وتضاعف فيه الحسنات، شهر تعتق فيه الرقاب، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، شهر أنزل فيه القرآن، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر فيه تُصَفد الشياطين ومردة الجن، شهر تستغفر فيه الملائكة للصائمين، وتزين فيه الجنة، وشهر ينادي نداء حارا: يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أقصر.

أيها الإخوة المؤمنون:

فإذا كان هذا الشهر يمتاز بمثل هذه الفضائل والخصائص فبأي شيء نستقبله؟ أنستقبله بموائد زاخرة بألوان الطعام والشراب؟ أنستقبله بصنوف من الحلاوي اليابسة والخشكناج والأقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميد، والكعك المنضد، أنستقبله بالفواكه اليابسة والفواكه الطازجة، أنستقبله بصدور ضيقة ووجوه عابسة؟ لا والله، إن المسلم الحقيقي يستقبله بالتوبة النصوح، والأوبة الصادقة، والعزيمة الماضية باغتنام أوقاتها وعمارتها بالأعمال الصالحة والتسابق في ميادين البر والإحسان، قال الله عز وجل: "وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ" [المطففين: ٢٦].

أيها الإخوة المؤمنون:

نستقبل هذا الشهر القادم الميمون إن شاء الله بمدارسة القرآن، والإكثار من تلاوته، نستقبل هذا الشهر بصلاة التراويح والتهجد أكثر من قبل، إن الله عز وجل يقول: "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" [المزمل: ٦]، ونستقبل هذا الشهر بتربية النفوس على

الطاعة وتنمية تقواها، "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" [الشمس: ٩- ١٠]. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: اعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفي أجره بغير حساب.

فتسابقوا أيها المؤمنون! في عمل الخير حتى تنالوا مغفرة من ربكم.

وقد جاء في جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بادروا بالأعمال سبعاً (أي سارعوا بالأعمال الصالحة، وتنبهوا إلى هذه الأحوال السبعة التي قد تنزل بكم فتشغلكم)، هل تنظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر^(١).

وتعالوا أن ندعوا الله: عن هلال رمضان: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله هلال رشد وخير^(٢) هذا ما روي عن طلحة بن عبيد الله.

أقول هذ، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (٢٣٠٧).

(٢) رواه الترمذي: رقم الحديث (٣٤٤٧).

استقبال رمضان

إن الحمد لله الملك الديان، والصلاة والسلام على سيد البشر وأكرم الإنسان، محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين في كل حين وأن، وبعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالامتنال لأمر الله، والاجتناب عما نهى الله، يقول الله عز وجل: "مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا" [الحشر: ١٧].

أيها الإخوة المؤمنون! إننا نتطلع في هذه الأيام بكل شوق ولهفة إلى شهر رمضان، موسم الإيمان والحنان، وربيع المحبة والعرفان، فمرحباً بـرمضان (إن شاء الله) غداً أو بعد غد، شهر القرآن، شهر الرحمة والغفران، هذا الشهر الذي نستقبله ونرحب به من منن الله العظيمة علينا وآلائه الجسيمة، فإذا وفقنا للقيام والصيام مع استهلال هذا الشهر، ووجدنا لحظة من لحظات هذا الشهر الفضيل، فمعنى ذلك أحرزنا ربحاً كثيراً وغنماً عظيماً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر^(١).

(١) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٣٣).

أيها الإخوة المؤمنون! هذه آخر جمعة من شهر شعبان، وقد كان دأب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان، وكان من عاداته الشريفة النبيلة أنه كان يخطب في آخر شعبان خطبة يحرّض بها المؤمنين على استقبال رمضان، فهاكم تلك الخطبة الوجيزة البليغة، وأي خطبة أحسن من خطبته صلى الله عليه وسلم، فما أزكاها، وما أحلاها، وما أصفها: عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضةً، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضةً فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وعتق رقبتة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، قلنا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرّة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظلم حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه أربع خصال: خصلتين تُرضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنها، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا

الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار^(١).

فهلّموا أيها الإخوان بهذه الأعمال الأربعة: الإكثار من كلمة لا إله إلا الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون^(٢)، فبالاستغفار وطلب الجنة والاستعاذة من النار نستقبل هذا الشهر الفضيل، ونستقبل هذا الشهر بالتقوى والخوف والخشية من الله، وقال الله تعالى: "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" [آل عمران: ١٨٥].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) صحيح ابن خزيمة: رقم الحديث (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٣٦).

(٢) رواه أحمد (١١٦٥٣).

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بـرمضان المبارك

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على
جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخِر
والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ"
[النساء: ١١٣١]، وأوصيكم ونفسي بأداء صيام رمضان بإخلاص
النية وطهارة القلب، لأن الله عز وجل يقول: من صام رمضان
إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

أيها الإخوة المؤمنون!

نحن الآن في شهر رمضان المبارك، شهر الصيام والقرآن،
شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النيران، شهر فيه ليلة خير من
ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضةً، وقيام ليله تطوعاً، شهر
تُصَفَّد فيه جميع الشياطين، وتزَيَّن فيه الجنة، شهر تستغفر فيه
الحيتان، وخلقوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، شهر

ينادي فيه الملائكة: يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أدبر وأقصر، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [البقرة: ١٨٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

فإذا كان هذا الشهر يحمل خصائص ومزايا كثيرة وكثيرة فتعالوا إلى أن ننظر كيف كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم برمضان، كان من شدة حب النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينتظر شهر رمضان، فلما جاء رمضان قال: قد جاءكم شهر رمضان، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبرئيل فيدارسه القرآن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

أيها الإخوة المؤمنون!

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات، فرمضانه الأول كان في السنة الثانية من الهجرة حينما فرض الصيام، وفي رمضان الأول اعتكف العشر الأولى، ثم اعتكف العشر الوسطى ثم العشر الأواخر، وقال: إنني رأيت ليلة القدر فيها، فأنسيتها، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فيهن حتى توفي^(١)، وفي رمضانه الأول وقعت غزوة بدر الحاسمة، وفيه توفيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي آخر

(١) المعجم الكبير، ٤١٢/٢٣.

رمضان هذا العام: فرضت صدقة الفطر^(١).

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان الثاني،
وبعدده وقعت غزوة أحد، وفي رمضان الثاني ولد الحسن بن علي
رضي الله عنه، في نصف رمضان، وفيه تزوج صلى الله عليه
وسلم حفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة.

وفي رمضان الثالث غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة في يوم حار، وهو صائم، وولد له فيه الحسين بن علي رضي
الله عنه.

وفي رمضان الرابع: وقعت محنة الإفك على عائشة رضي
الله عنها.

وفي رمضان الخامس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء
في مصلى العيد.

وفي رمضان السادس: أقام النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة، وفي هذا العام أسلم أبو هريرة، ورويت عنه عشرات من
الأحاديث في كتاب الصوم، وتزوج في هذه السنة صفية بنت حي
(من يهود خيبر).

وفي رمضان السابع: خرج لفتح مكة وهو صائم في رمضان

^(١) المغازي ١٣٦/٢.

في العاشر من شهر رمضان.

وفي رمضان الثامن: رجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، ووفد عليه وفد ثقيف.

وفي رمضان التاسع: توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم، واعتكف في رمضان هذا عشرين يوماً.

هكذا كانت رمضانات النبي صلى الله عليه وسلم عامرةً بالعبادات المضاعفة: صياماً وقياماً واعتكافاً وتلاوةً وجهاداً ودعوةً إلى الله، ونشراً لأحكام دينه.

أيها الإخوة المؤمنون!

من آداب الصيام النبوية: التعجيل في الإفطار، وذلك بدعاء: اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت^(١)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أفطر: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى^(٢).

ومن آداب الصيام التسحر: عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يتسحر فقال: إنها بركة أعطاكم الله إياها، فلا تدعوه، وكان صلى الله عليه وسلم: يدعو إلى

(١) أخرجه أبو داود: ٢٣٥٨

(٢) أخرجه أبو داود في سنته

السحور في شهر رمضان، وقال: هلموا إلى الغذاء المبارك^(١).

ومن آداب الصيام النبوية: المبالغة في العبادة. روى البخاري عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله^(٢).

ومن آداب الصيام النبوية: الترغيب بتفطير الصائم، عن زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء^(٣).

وقال الله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ" [البقرة: ١٨٥].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه النسائي عن العرياض بن سارية: ٢١٦٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه

(٣) رواه الترمذي.

رمضان شهر الصيام

إن الحمد لله، حمدا طيبا مباركا فيه، نحمده على جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فيأيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل، لأن الله عزوجل يقول: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي باغتنام هذه الأوقات المباركة في شهر رمضان لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصوم لي، وأجزى به.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن حياة النبي صلى الله أسوة كاملة، ونموذج حي في كل شأن من شؤون الدنيا والدين، وهي أعلى زاد، وأعظم مدد لكل من يريد أن يبنى حياته على أسس سليمة من الإيمان والتقوى، فحياة النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان، جديرة بالاتباع والتقليد، قمينة بالإشادة والتحجيز.

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حُببَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، ويتزود لذلك، ويتحنث أياما وأسابيع وشهوراً. حتى نزل عليه الوحي في السابع والعشرين من شهر رمضان، ثم لما

فرضت صيام رمضان في شهر شعبان في السنة الثانية من الهجرة بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [البقرة: ١٨٣]. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتم الهلال فأفطروا، وإن غمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يوماً.

وقد قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه:

يرى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رأيته، فصامه، وأمر الناس بصيامه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن التسحر: الغداء المبارك، وكان يقول لعائشة: قدَّمي إلينا الغداء، وقال فيما قال: تسحروا فإن في السحور بركة، وقال: إن فصل ما بين صيام أهل الكتاب المبارك أكلة السحور.

أيها الإخوة المؤمنون:

إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن للصيام آداباً وشروطاً حتى قال فيما قال: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر^(١)، وقال: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة في أن يدع طعامه وشرابه^(٢).

وقال: كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلا الصيام، فإنه

(١) أخرجه ابن ماجه: رقم الحديث (١٦٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٣) (٦٠٥٦)، أبو داؤد (٢٣٦٢)، الترمذي (٧٠٧)، ابن ماجه (١٦٨٩)، ابن حبان (٣٤٨٠)، ابن خزيمة (١٩٩٥)، البيهقي (٢٧٠/٦).

لي وأنا أجزي، والصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد وقاتله، فليقل: إني صائم^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

إن شهر رمضان ليس شهر العبادة والتراويح والصوم فقط، بل هو شهر الإنجازات والانتصارات تلو الانتصارات، قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضان في المدينة المنورة وغزا غزوات، من بينها غزوة بدر وفتح مكة.

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" [البقرة: ٢٨٦].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٧٤٩٢)، ومسلم في الصيام (١١٥١) عن أبي هريرة.

عشرة المغفرة من الذنوب

إن الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، نحمده على جزيل نعمائه ، ونشكره على جميع آلائه ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ، لأن تقوى الله عز وجل وصية الله في وفيكم وفي الناس أجمعين ، قال الله تعالى : "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء : ١٣١] ، وأوصيكم ونفسي بطلب المغفرة من الله تعالى : "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" [الزمر : ٥٢ - ٥٣] .

أيها الإخوة المؤمنون !

نحن الآن في العشرة الثانية من شهر رمضان ، وهي عشرة المغفرة من الذنوب والآثام ، ولاشك أن الله تعالى قد جمع في هذه العشرة إمكانيات المغفرة ، فالصوم يغفر الذنوب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من

ذنبه^(١)، وصلاة التراويح تغفر الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، وتلاوة القرآن تغفر الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت، وتفطير الصائم يغفر الذنوب: من فطر صائماً كان مغفرة لذنوبه، والصدقة في سبيل الله تغفر الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: الصدقة تطفى غضب الله، فكل عمل من أعمال هذه العشرة يغفر الذنوب، قال الله تعالى: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا" [نوح: ١٠ - ١٢].

أيها الإخوة!

إن من أسماء الله الحسنى الرحمن، الرحيم، التواب، الغفار، وقد وسعت رحمته كل شيء، ومن رحمته أنه يُمدِّه هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظوراً، ومن رحمته أنه لا يعجل العقوبة، بل يمهل وينتظر، يمهل وينتظر، حتى إذا أخذه لم يفلته، ومن رحمته أنه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، ومن رحمته أنه أودع في الليل والنهار ساعاتٍ مستجابةً، ومن رحمته أن نفحات الرحمة والمغفرة في رمضان تهبُّ بسرعة مدهشة، ويقول: ألا فتعرضوا لهذه النفحات الحانية، ومن رحمته أنه قال: أيها الإنسان!

(١) رواه البخاري: رقم الحديث (٣٨).

إن كنت ظالماً فالله غافر، وإن كنت ظلوماً فالله غفور، وإن كنت ظلاماً، فالله غفار، وقال صلى الله عليه وسلم: رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله! قال: من أدركه رمضان فلم يُغفر له.

أيها الإخوة المؤمنون!

الذنوب مثل النار، الذنوب مثل السرطان، الذنوب مثل العقرب، إن المؤمن حينما يذنب يعتقد أن جبلاً وقع عليه، وإن الكافر حينما يذنب يشعر بأن ذباباً وقع على أنفه، فأطاره، والذنوب تسود القلوب، وتسلب طمأنينة الروح، فتحرم الإنسان بركات الرزق وتُفقد الصحة والعافية، حتى إن جميع أهله وعياله وأصدقاءه يكونون عصاةً متمردين، ويوم القيامة يشهد عليه ثمانية شهداء: المكان: قال: "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا يَا نَرَبِّكَ أَوْحَى لَهَا" للزلزلة: ٤ - ٥، والزمان: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" [البروج: ١ - ٣]، واللسان: قال: "يوم تشهد عليهم ألسنتهم" (النور: ٢٤)، وتشهد عليه أعضاء الإنسان "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" [يس: ٦٥]، ويشهد عليه الملكان: قال: "وَأَنَّ عَلَيْنَا لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ" [الانفطار: ١٠ - ١١]، ويشهد عليه الديوان قال: "يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" [الكهف: ٤٩]، ويشهد عليه نبي الإنسان والجان، قال: "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا"

أيها الإخوة المؤمنون:

نحن في عشرة المغفرة، ولا ندعي أننا أتقياء، صلحاء، كرماء، بل كلنا مذنبون، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده! لو لم تذبوا للذهب لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون، فيغفر لهم^(١)، وهناك عدة أسباب لمغفرة الذنوب:

١. التوبة، قال تعالى: "وتوبوا إلى الله جميعاً". (النور: ٣١)
٢. الاستغفار؛ قال الله تعالى: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا" [نوح: ١٠].
٣. الحسنات، قال الله تعالى: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" [هود: ١١٤].
٤. دعاء المؤمن للمؤمن، قال الله تعالى: "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" [الحشر: ١٠].
٥. ما يُعمَل للميت من أعمال، قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له^(٢).
٦. الصبر على المصائب: ما يصيب المؤمن من وصب أو نصب

(١) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي: رقم الحديث (١٣٧٦).

ولا هم ولا حزن، إلا كفر الله بها من خطاياها^(١).

٧. شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الذنوب.

٨. رحمة الله وعفوه ومغفرته، وكان الله غفوراً رحيماً.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن للدنيا تجاراً، وإن للآخرة تجاراً، تجار الدنيا يترقبون مواسمها ليربحوا، وتجار الآخرة يترقبون مواسمها ليربحوا، لكن ربح هؤلاء غير ربح أولئك، إن ربهم مغفرة من ربهم، وجنات تجري من تحتها الأنهار، وتجار الآخرة هم كما وصفهم الله عز وجل: "رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" [النور: ٢٣٧].

أقول هذا، وأستغفر الله من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه البخاري: رقم الحديث (٥٣١٨)، ومسلم: رقم الحديث (٢٥٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٢٨).

شهر رمضان شهر الخيرات والبركات

إن الحمد لله، الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا أجل محدود، ولا وقت معدود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بإسداء المعروف إلى الناس والملاطفة الحسنة معهم، لأن الله عز وجل يقول: "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" [الضحى: ٩ - ١١].

إن شهر رمضان شهر الخيرات والبركات والحسنات، ولا شك أنه شهر المؤاساة، وقد جعل الصوم مشروعاً، لأن يشعر الإنسان بفقر الفقراء وبؤسهم وذنوبهم وشدة حياتهم، فالمؤاساة تتعلق بالعبادة، وإن الدين عبارة عن حقوق الله وحقوق العباد، فإذا أكمل إنسان جانب الله وقصّر في جانب العباد استحقّ بالويل والعار والشنار من الله

عز وجل ، قال الله تعالى : "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" للمطففين : ١ - ١٣.

أيها الإخوة المؤمنون !

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ" [التوبة : ١١١] ، فنحن المسلمين نصلي ونصوم ونتلو ، ونذكر الله عز وجل ، نذكره حسبما تيسر ، هذا كله جهاد النفس ، لكن ما هو جهاد الأموال والذخائر والكنوز والمدخرات ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ليتفقد أحوال الناس في هذا الشهر ويوفي حاجاتهم ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقاه جبرئيل ، وكان جبرئيل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي القرآن ، فإذا لقيه جبرئيل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(١).

إن الصحابة رضي الله عنهم قد عرفوا قيمة الأنفس والأموال ، فما تلكأوا وما ضعفوا وما استكانوا في تقديم النفس والمال في سبيل الله عز وجل ، هذا صحابي أبو طلحة رضي الله عنه لما سمع قول الله عز وجل : "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" [آل عمران : ٩٢] ، وكان أحب ماله بستان بيرحاء تصدق به في سبيل الله ، ولما سمع سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول الله عز وجل : "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا"

(١) صحيح البخاري باب كيف بدء الوحي : رقم الحديث (٦).

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة: ٤١]، تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع أثاث وأمتعة بيته، وتصدق عمر بنصف ماله وأثاث بيته، وصحابي أيها المؤمنون! ليس عنده مال، فذهب إلى بستان، وعمل طول الليل، ثم وجد أربعة صاع من التمور، فوضع اثنين للأهل، وأتى باثنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فتقبلها النبي صلى الله عليه وسلم قبولاً حسناً.

أيها الإخوة المؤمنون!

كل يوم تطلع فيه الشمس يردد الملائكة هذا الدعاء: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً^(١)، ولاشك أن الزكاة وصدقة الفطر والصدقات ليس وراءها إلا هذه الحكمة، أي مواسة الفقراء والمساكين، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يقبل الصدقات ويأخذها يمينه، فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فُلُوهُ أو فصيله، حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد، وتصديق ذلك قول الله عز وجل: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" [التوبة: ١٠٤]^(٢).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) رواه الترمذي: رقم الحديث (٥٩٨).

شهر رمضان كفارة للذنوب

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على جزيل نعمائه ونشكره على جميع آلائه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ" [النساء: ١٣١]، وأوصيكم ونفسي باغتنام هذه الأوقات من شهر رمضان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن من الخطايا إذا اجتنبت الكبائر^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

جعل الله عز وجل الأمة الإسلامية، خير الأمم وأفضل الأمم على وجه الأرض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنتم توفون أو تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها عند الله تعالى^(٢)،

(١) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي: رقم الحديث (٢٩٢٧).

وإن الجنة التي تزين للصائمين فيها مائة وعشرون صفاً، فهذه الأمة لها ثمانون صفاً، مرة قال عليه الصلاة والسلام لصحابته يوماً: أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبروا، ثم قال: أما إنكم توفون ثلث أهل الجنة، فكبر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، إذن هذه الأمة توفي وتؤمن ثمانين صفاً في جنات النعيم.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن الدليل على خيرية هذه الأمة أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بعثة مقرونةً ببعثة أمة، وبعثة مزدوجة، فكما أن النبي بعث كذلك الأمة بعثت، وكما أن النبي أعطى خمساً لم يعطهن أحد قبله: من كون الأرض مسجداً وطهوراً، وإحلال الغنائم ونيل الشفاعة، وبعثته إلى الأسود والأحمر ونيل حوض الكوثر، كذلك أكرمت الأمة بخمس خصال في رمضان ما أكرمت بها من قبل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفتروا، ويزين الله عز وجل كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة، ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين، فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يا رسول الله! أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله^(١).

(١) رواه أحمد (٢/٢٩٢)، والبيهقي في الشعب (٣٣٢٠)، والبخاري (٩٦٣).

هذه العشرة الأولى من شهر رمضان، وهي شهر الرحمة والفضل، والكرم والنعمة، فكيف نكسب رحمة الله عز وجل؟ نكسبها بأمر أربعة: كثرة لا إله إلا الله، والاستغفار من الذنوب، وسؤال الجنة، والتعوذ من النار.

وقد ورد في سنن النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب! علّمني شيئاً أذكر به وأدعوك به، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب! كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى! لو أن السماوات السبع والأرضين في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله^(١).

تعالوا أيها الإخوان إلى أن نحاسبكم قضينا من أيام العشر في الذكر والعبادة، وفقنا الله وإياكم.
وأقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه ابن حبان (٦٢١٨).

رمضان شهر العتق من النيران

إن الحمد لله ، جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، يوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، أحمدته سبحانه ، بيده الملك كله ، وأمر الخلائق كلهم ، وإليه المصير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فيأيها الناس ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل في السر والعلن ، وأحثكم على الإكثار من ذكر السعير والجحيم .

أيها الإخوة المؤمنون ! يوم القيامة يوم الجزاء الأكبر ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، يساق الناس حُفاة عراةً غُرلاً إلى أرض الحشر ، وتقف فيها الخلائق ، شاخصةً أبصارهم ، منقطرة قلوبهم لا يكلمون ، "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ" [هود: ١٠٤] ، ثم يساقون إلى الصراط ، وجسر ممدود على متن النار ، أحدٌ من السيف وأدقُّ من الشعْر ، وعليه حسكٌ وكلايب وخطاطيف تحتطف الناس يميناً وشمالاً ، فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة والصراخ والعويل ، ويقول المنادي : "اخْسُتُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ" [المؤمنون: ١٠٨] .

أيها الإخوة المؤمنون! جهنم دار الشقاء والعذاب، ودار الخزي والهوان، ونار جهنم تنخلع منها القلوب، وتقشعر منها الأبدان، ولتأججها ولهبها زفير، يقول الله عز وجل: "وَلَلَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبُّهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ" [المالك: ٦- ٧]، وطعام أهل جهنم الغسلين والزقوم، وشرابهم الصديد والحميم، وغَلَظَ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة، وإن في جهنم سبعين ألف واد، وفي كل واد سبعون ألف شعب، وفي كل شعب سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله، وإن في جهنم وادياً يقال: هبهب، يسكنه كل جبار، وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعوذوا بالله من جب الحزن، قيل: يا رسول الله! وما وادي جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين ألف مرة، أعدّه الله للقراء المرأين^(١)، وقد جاء في الحديث: إن أول من يدخل في النار القراء المرأون، والشهداء المرأون، والمنفقون المرأون، يقول الله عز وجل: "خُدُّوهُ فَعَلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ" [الحاقة: ٣٠- ٣٢]، وقال: "يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ"

(١) أخرجه سنن ابن ماجه (٢٥٢)، ورواه الترمذي (٢٣١٨).

أيها الإخوة المؤمنون! هذه صفة جهنم، وهذه العشرة الأخيرة من شهر رمضان، وهو العتق من النار، والخلاص من النار، فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيها سنة الاعتكاف، وفيها نزول القرآن، فما أحوجنا اليوم إلى الاغتنام بهذه الأيام المعدودات، وفقنا الله وإياكم، وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النار إلا شقي، قيل: يا رسول الله! من الشقي: قال: من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له بمعصية^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (٦٢٢١).

الصبر في شهر رمضان

إن الحمد لله، الذي أكرمنا بنعمة الإسلام، وخص لنا شهر رمضان بالصيام، وأسبغ علينا نعمه بالفضل والإنعام، وقدر لنا في هذا الشهر الفضيل ما تيسر من تلاوة القرآن والقيام، والصلاة والسلام على محمد سيد البرية والأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام العظام إلى دار البقاء والدوام.

وبعد: فأيها الناس! أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن^(١).

أيها الإخوة المؤمنون! هناك أنواع شتى من الفتن والمحن، فتنة الأهل والولدان، وفتنة الباطل والطغيان، وفتنة النفس والشيطان، وفتنة الإنس والجان، فالصبر والاستقامة هو السلاح الأفتك لدحر هذه النقم ما ظهر منها وما بطن، والصبر إمساك النفس من غوائل الشر، والصبر هو جراءة القلب، والصبر استقامة البشر، والصبر مغلاق للشر، ومفتاح للخير، وقد حرّض الله المؤمنين على اتخاذ الصبر فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" آل عمران: ٢٠٠.

^(١) رواه الترمذي: رقم الحديث (١٩٨٧)، والحاكم: رقم الحديث (٥٤).

أيها الإخوة المؤمنون! الصبر ألوان وأنواع: الصبر على
المصيبة، الصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، فالصبر على
المصيبة هو ما صورّه القرآن الكريم في قصة يعقوب وأيوب عليهما
السلام، إن يعقوب عليه السلام لما فقد ابنه العزيزان الحبيبان
الأثيران، صبر ثم اصطبر واحتسب الأجر من الله تعالى قائلاً: "إِنَّمَا
أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" [يوسف: ٨٦]، وسيدنا أيوب مرض
مرضاً شديداً مضنياً لم يسلم من جسده إلا لسانه وفؤاده. فلم يشك
إلى أحد، بل قال: "أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"
[الأنبياء: ٨٣]، والصبر عن المعصية ما جاء في قصة يوسف: إن امرأة
العزيز وهي ذات حسب وجمال راودت الفتى يوسف وغلقت
الأبواب وقالت هيت لك: "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" [يوسف: ٢٣]، والصبر على الطاعة، وذلك أن
سحرة فرعون لما آمنوا هددهم فرعون وأوعدهم فقالوا: "لَنْ نُؤْتِرَكَ
عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ"
[طه: ٧٢]، وقالوا: "لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ" [الشعراء: ٥٠].

أيها الإخوة المؤمنون! هذا شهر رمضان المبارك، شهر المواساة
والصبر، والصبر جزاؤه الجنة، وقال تعالى: "إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" [الزمر: ١٠]، لكن كم نصبر على الطاعات في
رمضان، نصوم عما أحلَّ الله من الطعام والشراب، ونفطر على ما
حرَّم من المعاصي، نغتاب وننمي ونكذب ونخدع، ونرتكب الكبائر
والصغائر ولا حرج، ونشكو على الجوع والعطش، ونشكو على

الجرح والقرح، ونشكو بل نتشاكى الجفوة والقسوة والغلظة، من الناس، فأين الصبر الجميل الذي هو ترك الشكوى واستلذاذ البلوى؟ وأين نحن من قول النبي صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه؟^(١).

أيها الصائم المسلم! اصبر على الطاعات في رمضان، وأكثر من كلمة لا إله إلا الله، واستغفر من الذنوب، وصُنْ نفسك، وصُنْ لسانك، وصُنْ أذنيك، وصُنْ عينيك، وصُنْ يديك وصُنْ رجلك، وصُنْ جوارحك، حتى لا تمس حراماً ولا تفعل حراماً، ومت بداء الصمت خير لك من داء الكلام، إنما العاقل من أجم الجسم فاه بلجام، وقد جاء في الجامع الصحيح للإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر^(٢).

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري: رقم الحديث (١٩٠٣).

(٢) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٣٣).

مشروعية الزكاة وأداؤها في شهر رمضان

إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، أما بعد:

فيأبها الإخوة المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، لأن الله عز وجل يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بالإنفاق في سبيل الله، فقد قال الله سبحانه وتعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [المزمل: ٢٠].

أيها الإخوة المؤمنون!

من دعائم الإسلام الأساسية الزكاة، وهي عبادة مالية وقلبية يُتغنى بها وجه الله، ويستأصل بها الله شأفة البخل والشح والحرص من القلوب، ويستكمل بها حاجيات الفقراء والمساكين وما إليهم، يقول الله عز وجل: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [التوبة: ١٠٣]، وقد فرضت الزكاة في مكة المكرمة، لكن أحكامها التفصيلية شرعت في المدينة المنورة في السنة التاسعة من الهجرة، قد أعقب الله ذكر الزكاة مع الصلاة في القرآن الكريم اثنتين وثمانين

مرة، فكانت الصلاة فريضةً محكمةً في الأمم السابقة وفي الأمة
المحمدية خاصة، فمن سمات الزكاة: التبشير والإنذار، وتؤخذ من
أغنيائهم وترد على فقرائهم، وروح الإخلاص والتواضع والامتنان
لا المن، "قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ" [البقرة: ٢٦٣].

أيها الإخوة المؤمنون!

هناك حقوق وواجبات فرضت على العباد: حقوق بدنية،
وحقوق مالية، وحقوق الله وحقوق العباد، فالصلاة والصيام
وسيلتان لأداء حقوق الله، والزكاة وسيلة لأداء حقوق العباد، وأداء
كليهما هو الإسلام، يقول الله عز وجل: "فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ" [التوبة: ١١]، وقد حدّد رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقدار الزكاة والأموال التي تجب فيها زكاة في
الزروع والثمار، والزكاة في بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم،
والزكاة في الأموال الصامته من الذهب والفضة، وفي أموال التجارة
والنقود في البنوك والمصارف، فمن تساهل في أداء الزكاة فليسمع
قول الله عز وجل: "يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ" [التوبة: ٣٥].

واسمعوا أيها الإخوان! لما ارتدت قبائل العرب بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم واشترأت اليهودية والنصرانية والنفاق أعناقها،
وامتنع الناس من أداء الزكاة ثار غضب سيدنا أبي بكر الصديق

رضي الله عنه قائلاً: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم.

أيها الإخوة المؤمنون! شهر رمضان شهر المبرات والخيرات، شهر النوافل والتطوعات، شهر تتبارك فيه الأرزاق، شهر تتضاعف فيه الحسنات، وقد فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرةً للصيام على الحر والعبد والصغير والكبير والذكر والأنثى من المسلمين، فقال فيما قال: أغنوهم عن السؤال في ذلك اليوم، ولا يعزبن عن بالكم أن في المال حقاً سوى الزكاة، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى يُرائي فقد أشرك، ومن صام يُرائي فقد أشرك، ومن تصدق يُرائي فقد أشرك^(١).

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

^(١) رواه الإمام أحمد (١٧١٤)، رواه الحاكم برقم (٧٩٣٨/٩٥).

تضحية إبراهيم وتضحية الصحابة

إن الحمد لله ، الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أجل محدود ، ولا وقت معدود ، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن ، وهو السميع العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ، أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فإنها تجارة لن تبور ، وأحثكم على مراقبته ، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، واحرصوا على طاعة ربكم وبادروا ، فإن المنيا كل لحظة على الأنام تدور .

أيها الإخوة المؤمنون ! بفضل الله وحسن توفيقه قد صلينا صلاة عيد الأضحى فرحين مستبشرين ، ونحن في أيام التشريق ، مغمورين بالحب ، وبالله مؤمنين نهلل ونكبر ونسبح ونحمد الله ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، والله الحمد ، فزينة أعيادنا الله أكبر ، وفاتحة صلاتنا الله أكبر ، ومبدأ حياتنا الله أكبر ، وشعار حروبنا وخطوبنا الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد .

أيها الإخوة المؤمنون! لكل شئى مصدر، ولكل أمر مرجع، فكما أن أصل المساجد ينحدر إلى الكعبة المقدسة، كذلك ترجع التضحية إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فقد قدّم التضحية في سبيل الله، وفاز بأوفر حظ، وأكبر نصيب، كان على قمة عالية من التفاني في سبيل الله تعالى، وهناك ثلاث تضحيات ومجهودات مشكورة في سبيل الله، تقبلها الله بقبول حسن وأنبثها نباتاً حسناً.

التضحية الأولى هي التي قام بها سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهو أنه لما عُزل إبان اشتعال نار الحرب عن منصب القيادة في معركة اليرموك لم تتلهم همته، ولم تضعف شوكته، وقال قولته الخالدة البليغة التي سجّلها التاريخ بمداد من نور: والله أعلم ما كنت أقاتل لعمر، ولأقاتلن الآن أضعاف ما كنت أقاتل.

والتضحية الثانية هي التي قدّمها سيدنا الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نشبت الفتن، وكاد أن يكون هناك خلاف بين المسلمين، فإنه تنازل عن الإمارة في حق معاوية رضي الله عنه قائلاً قول عمر: لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فصدق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه: إن ابني هذا سيد، سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين^(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم الحديث (٢٥٥٧).

والتضحية الثالثة: هي التي أداها سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، إنه كان قبل تسلم زمام الخلافة رجلاً من البيوتات الحاكمة، وكان يُضرب به المثل في البذخ والترف وحسن الهندام، وكانت مشيته العمرية حديث المجالس والنوادي، فلما ترَبَّع على عرش الحكومة أبعده عنه كل نعمة يتمتع بها، وصار يعيش عيشةً ساذجةً طبيعيةً، حتى لقب بالخليفة الخامس، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه.

أيها الإخوة المؤمنون! هذه التضحيات أقل قيمة وقامة من تضحية إبراهيم عليه السلام، لكن هل نُؤدي واجبها؟ وقد قال الله تعالى:

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [الأعلى: ١٤ - ١٧].

وجاء فيما رواه الترمذي عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني^(١).

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي: رقم الحديث (٢٤٦١).

يوم عيد الأضحى تذكار لإبراهيم

إن الحمد لله ، الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل معدود ، هو الأول فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فيأيتها الإخوة المؤمنون! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، التي هي الزاد ، وبها المعاد ، زاد مبلغ ، ومعاد منجح ، وإنها الزمام ، وعليها القوام ، ثانيا أوصيكم ونفسي بالصبر والمصابرة على حدود الله لأن الصبر ترك الشكوى ، واستلذاذ البلوى .

إخواني معشر المسلمين! كل إنسان حراً كان أو عبداً ، صغيراً كان أو كبيراً ، سيداً كان أو منبوذاً ، مطالب بأن يهتم بأمرين مهمين : الأمر الأول : الامتثال لأوامر الله عز وجل ، والخضوع أمامه ، والركون إلى جنبه ، والانقياد لطاعته ، والأمر الثاني : الانتهاء الكلي عن منهيات الله ، والرفض لكل ماسوى الله ، فهذان الجانبان لا يتحققان إلا بالنظر في أسماء الله الحسنى ، وأسماء الله الحسنى

تتصف بمعاني الجمال والجلال، وتتميز بمفاهيم الكمال والنوال، ففي تسعة وتسعين اسماً يدل سبعة عشر على مدلول الجلال والرهبة وإحداث الخوف، أما البقية الباقية فهي تشفُّ عن شفقتة وإنعامه وحلمه وكرمه، تعالوا معي نردّد هذه الأسماء بفصّها ونصّها: هو الله الجبار، القهار، المتكبر، المذل، المميت، المتعالي، الضار، المهيمن، العزيز، القابض، الخافض، الرقيب، المقتدر، المقسط، العلي، فلو استحضر الإنسان هذه الأسماء لما قرّب من محارم الله، ولا انتهك حرّات الله، واقشعرت الجلود بمجرد سماعها وانخلعت القلوب من تصورها، وهناك صفات جمالية: الغفار، الستار، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الودود، الشكور، الغفور، الحليم، اللطيف، وهلم جرا، تجد أنها تنادي بأن رحمة الله وسعت كل شيء، ورحمته سبقت غضبه، هذان النوعان الجلال والجمال إذا تدبرهما الإنسان ابتعد كل الابتعاد من المعاصي والسيئات، بأنه أقرب إليه من جبل الوريد، وأما الجلال فهو يحدث الخوف، والجمال يحدث المحبة.

فيأبها الإخوة المؤمنون! فالخوف والمحبة ظاهرتان أساسيتان في العبادات والشعائر الإسلامية، الخوف يتجلّى بأسمى معانيه في الصلاة والصيام والزكاة، بحيث إن العبد المؤمن إذا قام للصلاة فيقوم بأداء أفضل آيات الاحترام والتبجيل، فلا كلام ولا سلام، ولا طعام ولا منام، فكل هذه الأشياء أثناء الصلاة ممنوع على الأنام، ففي فاتحة الصلاة يقدم طلبه إلى جناب البارئ جل وعلا، ثم يزداد خوفه فيركع أمامه ويكون مثل البهائم، ثم تتصاعد هذه الكيفية فيضع جبهته على

الأرض ويدلك أنفه وناصيته على الأرض ، لماذا؟ لأن يقبل الله منه
صلاته وعبادته ، ثم يقول فيكرر الطلب ، ثم يعمل نفس الأعمال
لماذا : لابتغاء وجهه ، وطلب مرضاته ، يقول الله جل وعلا : **وَادْعُوهُ
خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** (النساء : ٥٦)

أما محبته لله وفي الله فهي تظهر في شهر ذي الحجة الحرام ،
فأعمال الحج والتضحية كلها ليست إلا شعاراً للعشق واليهام والمحبة
والأوام ، فالحاج في طفرة أو قفزة ينتقل من سجن إلى عالم فسيح ، فهو
متقلب بين مكة ومنى وعرفات والمزدلفة ، ثم منى والمزدلفة ، ثم يقيم
ويرحل ، ويمكث ويتنقل ، ويخيم ويقلع ، إنما هو طوع إشارة ورهين
أمر ، وإنما هو الحب والعشق ، نسي فيه اللباس والطيب وحاجيات
الحياة ، وهذه هي قيمة الحياة ، وما قيمة كأس لاتفتح ولا تفيض .

أيها الإخوة المؤمنون : وقد عبر لسان النبوة عن هذين الأمرين
بأفصح لسان ، فقال : من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع
الله ، فقد استكمل الإيمان^(١) ، وجاء فيما رواه ابن ماجه وغيره
بأسانيد حسنة ، عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي أن رجلا
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! دلني على
عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال : ازهدي في الدنيا
يجبك الله ، وازهدي فيما عند الناس يجبك الناس^(٢) .

(١) أخرجه أبو داود : رقم الحديث (٤٦٨١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه : رقم الحديث (٤١٠٢) .

أيها الإخوة المؤمنون :

هذا يوم العيد، يوم التكبير : الله أكبر الله أكبر، يوم أداء ضريبة العشق والمحبة لله، نحن المسلمين بالتكبير نزين الأعياد، بالتكبير نصنع الأجداد، بالتكبير نبدأ الصلاة، بالتكبير نبدأ الأذان، بالتكبير نبدأ الإقامة، بالتكبير نبدأ المعارك، بالتكبير نبدأ الحياة، إذا وُلد المولود منا أذن في أذنه الله أكبر، وإذا قمنا للصلاة قلنا الله أكبر، وإذا ذبحنا أو نحرننا قلنا : بسم الله والله أكبر، نحن المهللون المكبرون، تعلمنا أن يكون شعارنا الله أكبر.

الله أكبر بها نرعب الأعداء في الحروب، الله أكبر بها نقتحم الأحداث والخطوب، في يوم بدر انتصرنا بأن شعارنا كان الله أكبر، في يوم عين جالوت كان شعارنا الله أكبر، فالله أكبر ليست كلمة تقال، وليست مجرد شعار يُرفع، الله أكبر هي الكلمة التي توقظ القلوب من الغفلات، وهي الله أكبر تجمع الناس من الفرقة والشقات، إنما معناها : أن تكون الدنيا كلها في عينك صغيرة في جنب الله، إذا عرض عليك المال أو عرض عليك الجاه، أو عرضت عليك الدنيا لتتنازل عن دينك استمسكت بدينك، وقلت : الله أكبر.

أيها الإخوة المؤمنون :

فيوم العيد يوم الخوف، لأنه أشبه بيوم الوعيد، ويوم القيامة يقول الله تعالى : "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوَجُودٌ

يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ"
 [عبس: ٣٨ - ٤٢]، فأما المستبشرون الفرحون فأولئك الذين أتم الله
 عليهم النعم، وحُق لهم أن يفرحوا، وأما الخاسرون فهم الذين لم
 يقدروا نعمة الله تعالى، فياويلهم، ثم ياويلهم: "فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى
 وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ
 أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ" [القيامة: ٣١ - ٣٥].

أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
 ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم

إنَّ الحمد لله، علي الذات، عظيم الصفات، سمي السمات، كبير الشأن، جليل القدر، رفيع الذكر، مطاع الأمر، جلي البرهان، فخيم الاسم، غزير العلم، وسيع الحلم، كثير الغفران، جميل الثناء، جزيل العطاء، مجيب الدعاء، عميم الإحسان، سريع الحساب، شديد العقاب، أليم العذاب، عزيز السلطان، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في الخلق والأمر، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، المبعوث إلى الأسود والأحمر، المنعوت بشرح الصدر، ورفع الذكر، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه، الذين هم خلاصة العرب العرباء، وخير الخلائق بعد الأنبياء، أما بعد:

فيأيها الناس! إن لكم معالم، فانتھوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية، فانتھوا إلى نهايتكم، واعلموا أن العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده! ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم حجة الوداع:

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا! إن كلَّ شئٍ من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى، وقد تركت فيكم ما لم تصلوا بعده، إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، وقال: أيها الناس: اسمعوا مني تعيشوا: ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحلُّ مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، ألا، وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض، ثم قرأ: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ" [التوبة: ٣٦]، ألا: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا: إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون، ولكنه في التحريش بينكم، ألا: لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، كلكم من آدم وآدم من تراب^(١).

(١) أخرجه البخاري: رقم الحديث (١٠٥ - ١٧٣٩ - ١٧٤١ - ١٧٤٢)، وصحيح مسلم: رقم الحديث (١٦٧٩).

وقال عبد صالح من عباد الله في خطبته: أيها الناس! وحّدوا الله، فإن التوحيد رأس الطاعات، واتقوا الله، فإن التقوى مِلاكُ الحسنات، وعليكم بالسنة، فإن السنة تُهدي إلى الإطاعة، ومن أطاع الله ورسوله فقد رشدَ واهتدى، وإياكم والبدعة، فإن البدعة تُهدي إلى المعصية، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ وغوَى، وعليكم بالصدق فإنّ الصدق يُنجي والكذب يُهلك، وعليكم بالإحسان، فإن الله يُحبّ المحسنين، ولا تقنطوا من رحمة الله فإنه أرحم الراحمين، ولا تحبوا الدنيا فتكونوا من الخاسرين، ألا وإن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وتوكلوا عليه، فإن الله يحبّ المتوكلين، وادعوه فإنه مجيب الداعين، واستغفروه يُمددكم بأموال وبنين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" [غافر: ٦٠].

بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود ولا أجل ممدود، ولا وقت معدود، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، لأن الله عز وجل يقول:
 "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"
 [آل عمران: ١٠٢].

وأوصيكم ونفسي بالشكر على نعم الله تعالى: لأن الله عز وجل يقول: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"

أيها الإخوة المؤمنون!

من عظيم فضل الله سبحانه وتعالى علينا وعلى عباده المؤمنين أنه أكرمنا بشهر رمضان المبارك، شهر الصيام والقرآن، ووفّقنا لأداء هذه الفريضة بالإيمان والاحتساب، فقد سعد كلُّ واحد منا ببركات رمضان، وتشرف بتلاوة القرآن، ونال حظاً كبيراً من الذكر والدعاء وصلاة التراويح واغتنام ليلة القدر، فهنيئاً لكم بهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن من الخطايا، إذا اجتنبت الكبائر^(١)، الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

هذا اليوم الأغرُّ الأشهر تحفة ربانية ومنحة إلهية، أكرم بها المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها، إن كلَّ شعب في الدنيا يشغل بيوم من الأيام، فليهود عيد، وللنصارى عيد، وللمجوس عيد، وللصابئين عيد، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي

(١) رواه مسلم: رقم الحديث (٢٣٣) (٨٥٧).

صلى الله عليه وسلم قال: لكل قوم عيد وهذا عيدنا^(١)، الله أكبر،
الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

إن أعيادنا مشروعة من الله عز وجل، ليست من أساطير
الزمان ولا طوارق الحدثنان، ومعلوم أن الإنسان مجبول على إبداء
الفرح والسرور، ومفطور على إظهار السعادة والحبور، فكانت
الحاجة إلى يوم الاحتفال: وقد جاء في سنن أبي داود عن أنس رضي
الله عنه قال: قدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ولهم يومان
يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في
الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أبدلكم الله بهما
خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر^(٢)، الله أكبر، الله أكبر، لا إله
إلا الله، والله أكبر والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

يوم الفطر يوم الجائزة من الله تعالى، ويوم الجزاء الأوفى، وقد
صام عباد الله المخلصون، وفرح الله تعالى بصيامهم وغفر لهم،

(١) رواه البخاري: رقم الحديث (٩٥٩).

(٢) أخرجه سنن أبي داود: رقم الحديث (١١٣٤).

ومعلوم أن للصائم فرحتين: فرحة يوم فطره، وفرحة يوم لقاء ربه، ولاشك أن الملائكة قد انتشروا اليوم على الشوارع والطرق ينادون بمغفرة الذنوب، وقد جاء في الترغيب والترهيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى للملائكة: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله، فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا! جزاؤه أن توفيه أجره، قال: فيقول: فيأني أشهدكم يا ملائكتي: إني جعلت ثوابهم رضائي ومغفرتي، ارجعوا مغفوراً لكم، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

مع بزوغ صبح هذا اليوم وجبت صدقة الفطر على الصائمين المؤمنين، ولاسيما من ملك مقداراً يبلغ نصاب الزكاة، وهذه الصدقة طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، ونصف صاع من بر أو قمح على العبد الحر والذكر، والصغير والكبير^(١)،

(١) أخرجه صحيح البخاري: رقم الحديث (١٥٠٣ - ١٥١١).

وقال صلى الله عليه وسلم: أدوا زكاة الفطر، قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" [الأعلى: ١٤ - ١٥]، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

يوم الفطر يوم الشكر والاعتراف بنعمة الله عز وجل، يوم الفطر يوم الإخاء والمحبة، يوم الفطر يوم التكبير لعظمة الله تعالى، يوم الفطر يوم الالتزام بشريعة الله عز وجل، وهو يذكر بيوم الوعيد، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فهناك "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ" (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ" [عبس: ٣٨ - ٤٢]، قال الله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ يَكُفُّمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يَكُفُّمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [البقرة: ١٨٥].

أقول هذا، أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الأضحى

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، إن الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مباركاً عليه، كما يحبه ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فيا أيها الإخوة المؤمنون!

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، لأن الله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، وأوصيكم ونفسي بتقديم الأضاحي ابتغاءً لوجه الله تعالى، لأن الله عز وجل يقول: "لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ" [الحج: ٣٤].

أيها الإخوة المؤمنون!

من عظيم نعم الله تعالى علينا وعلى عباده المؤمنين هذا اليوم الأغرُّ الأشهر، الذي نستقبله بقلوب يملؤها السرور والحبور، ونستقبله بقلوب يغمرها الشعور بالسعادة والعزة والكرامة، إنه يوم مشهود، يحتفل فيه المسلمون بعيد الأضحى في مشارق الأرض

ومغاربها، ويقدمون التهاني القلبية إلى جميع من يتصل بهم، ومعلوم أن كل إنسان مفطور على إبداء الفرح والسرور، فكان من الواجب أن يكون هناك يوم تحقيقاً لهذا المقصد العظيم، وقد روى أبو داود في سننه عن أنس رضي الله عنه قال: حينما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وللناس يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، قال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أبدلكم بهما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد^(١).

أيها الإخوة المؤمنون!

عيد الأضحى يمثل حياة عبد من عباده الله المكرمين، وهو أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي عاش في بيئة مظلمة، وقد أحاطها ظلام الجهل والوثنية من كل جانب، فامتحنه الله بحوادث جسام عظام، لكنه نجح فيها نجاحاً باهراً ملموساً، فخلع الله عليه منصب الإمامة، ولقبه بخليل الله، قال الله عز وجل: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" [البقرة: ١٢٤]، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

(١) أخرجه سنن أبي داود: رقم الحديث (١١٣٤).

أيها الإخوة المؤمنون!

أكرم الله عز وجل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالقلب السليم، فكان حيناً مسلماً، انقطع من جميع الآثار الشركية الصنمية والكفرية، وتوجه إلى الله، مرة قال لأبيه وقومه: "مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" [الأنبياء: ٥٢ - ٥٤]، فانفجر القوم غضباً، لكن لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وكسر إبراهيم عليه السلام أصنامهم، قالوا: "حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠]، فالبراءة من الكفر والشرك مطلوبة في جميع الأحوال: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله أكبر، والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

لما رأى إبراهيم عليه السلام إصرار القوم على نحت الأصنام، وعبادة الأصنام، وتجارة الأصنام، قال: "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ" [الأنبياء: ٩٩]، ثم دعا الله عز وجل فقال: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" [الصافات: ١٠٠]، وبينما هو كذلك إذ أمر الله عز وجل أن يترك ابنه وزوجته في واد غير زرع، فلبى نداء ربه قائلاً: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بِيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" [إبراهيم: ٣٧]، ثم رفع في هذا

المكان جدران الكعبة المقدسة إبراهيم وإسماعيل عليه السلام قائلاً:
الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

لما بلغ هذا الغلام سيدنا إسماعيل عليه السلام السعي رأى
إبراهيم عليه السلام في المنام ثلاث ليالٍ متتاليات، فعرض أمامه هذه
الرؤيا، وكان الولد سعيداً نجيماً، فاستسلم لأمر ربه خاضعاً منقاداً،
انظروا كيف يحكي القرآن هذه القصة: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا
بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ
مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"
[الصفوات: ١٠٢ - ١١٠]، الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، والله
أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أيها الإخوة المؤمنون!

هذه الأضاحي التي نقدمها إلى الله تعالى ليست إلا سنة
إبراهيم عليه السلام، فقد جاء فيما رواه ابن ماجه وأحمد أن
صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا، فقالوا: ما هذه
الأضاحي يا رسول الله؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم، قالوا: وما لنا
فيها قال: بكل شعرة حسنة، وقال: من وجد سعةً لأن يضحي،

فلم يضح ، فلا يحضر مصلانا^(١) ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ،
والله أكبر ، الله أكبر ، والله الحمد .

أيها الإخوة المؤمنون !

مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين في المدينة المنورة ، فكان يضحى كلَّ عام بغاية الحب والاستسلام تذكراً لسنة إبراهيم عليه السلام ، إن أعيادنا أعياد ربانية وإنسانية ، فليس هنا انفلات للشهوات أو جري وراء الملذات ، وليس هنا ادخار واكتناز واحتكار للحوم الأضاحي ، ينبغي أن توزع الأضاحي أثلاثاً : ثلث لنفسه وأهله ، وثلث يُهدى إلى الجيران والأصدقاء ، وثلث للفقراء والمساكين .

أقول هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

^(١) أخرجه ابن ماجه : رقم الحديث (٣١٢٧) .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبينا وحيينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيأيها الإخوة المؤمنون! إن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة لقدسه، وثالث بكم أيها المؤمنون! حيث قال مخبراً وأمراً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [الأحزاب: ٥٦] اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم باركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صلِّ على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى عبادك الصالحين، ولا سيما على سيدنا أبي بكر الصديق صاحب رسول الله في الغار، وعلى سيدنا عمر الفاروق قانع أساس الكفار، وعلى سيدنا عثمان ذي النورين صاحب الحياء والوقار، وعلى سيدنا علي المرتضى أسد الله الجبار، وعلى الإمامين الهمامين السيِّدين السعديين الشهيدين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين، وعلى

أمهما سيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وعلى عمي النبي
المكرمين بين الناس، أبي عمارة حمزة وأبي الفضل العباس، وعلى
سائر الصحابة والتابعين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، "أَوْلَيْكَ
حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [المجادلة: ٢٢].

اللهم اغفر لي، ولمن أحسن إليّ ولوالديّ ولجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، اللهم ألف بين قلوبهم، وأصلحهم
وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم أعز
الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم أهلك الكفرة
واليهود والنصارى والمنافقين والمشركين الذين يصدون عن سبيلك،
ويكذبون رُسُلَكَ، ويقاتلون أولياءك. اللهم خالف بين كلمتهم، وزلزل
أقدامهم، اللهم شتت شملهم، اللهم مزق جمعهم، اللهم فُلِّ
حدهم، اللهم نكس أعلامهم، اللهم ألق في قلوبهم الرعب والجبن،
اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم انصر من نصر دين محمد ﷺ
واجعلنا منهم، واخذل من خذل دين محمد ﷺ ولا تجعلنا منهم.

عباد الله! رحمكم الله! "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ" [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العلي العظيم يذكركم، وادعوه
يستجب لكم، واشكروا نعمه يزدكم، ولذكر الله تعالى أعلى وأولى
وأعز وأجل وأتم وأهم وأكبر، والله يعلم ما تصنعون.

خطبة النكاح

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ، ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ، أما بعد : فقد قال الله تعالى : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [النساء : ١].

وقال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران : ١٠٢] وقال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ^(١) ، وقال : فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ^(٢) .

أقول هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه سنن ابن ماجه (١٩١٩).

(٢) أخرجه صحيح البخاري (٥٠٦٣).

فهرس الكتاب

٣	كلمة الناشر
٥	المقدمة
٧	بين يدي الخطب
٩	١. يوم الجمعة عيد الأسبوع
١٢	٢. التوحيد أساس الدين
١٦	٣. الإيمان والإسلام
٢١	٤. الإسلام دين الوحدة والتضامن
٢٥	٥. القرآن كتاب هداية وشفاء
٢٩	٦. القرآن حبل الله المتين
٣٣	٧. من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
٣٨	٨. السيرة النبوية القرآنية
٤٤	٩. البعثة المحمدية: أهدافها و غايتها
٤٧	١٠. ولد الهدى فالكائنات ضياء
٥١	١١. الصحابة الكرام خير هذه الأمة
٥٥	١٢. فضيلة العلم الديني
٥٨	١٣. حقيقة التوبة
٦١	١٤. الأمانة عماد المجتمع المسلم
٦٤	١٥. الظلم عاقبته وخيمة
٦٨	١٦. قضية المسجد الأقصى قضية إسلامية
٧١	١٧. وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
٧٤	١٨. التكرار في القرآن: حكمته وأهميته
٧٧	١٩. صلح الحديبية فتح مبين لا فتح مُهين
٨١	٢٠. الحسد جماع كل إثم

٨٥. الوسطية في الإسلام
٨٨. القلب أساس كل خير
٩١. الشورى في الإسلام
٩٤. الشباب ودورهم في المجتمع
٩٧. يوم القيامة
١٠٠. الموت آت آت
١٠٣. القبر وأحواله
١٠٦. الفوز فوز الآخرة
١٠٩. حادث الإسراء والمعراج
١١٣. آفة اللسان وخطورته
١١٦. ويأبى الله إلا أن يتم نوره
١٢٠. إصلاح الفرد والمجتمع في ضوء سورة الحجرات
١٢٦. تمثيل القدوة الحسنة
١٣١.ولكن كونوا ربانيين
١٣٦. لئن شكرتم لأزيدنكم
١٤١. ألا بذكر الله تطمئن القلوب
١٤٦. الدعاء سلاح المؤمن
١٥١. استقبال السلف الصالح لشهر رمضان
١٥٦. كيف نستقبل الشهر الفضيل؟
١٥٩. استقبال رمضان
١٦٢. اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بـرمضان المبارك
١٦٧. رمضان شهر الصيام
١٧٠. عشرة المغفرة من الذنوب
١٧٥. شهر رمضان شهر الخيرات والبركات
١٧٨. شهر رمضان كفارة للذنوب

- ١٨١ ٤٦. رمضان شهر العتق من النيران
- ١٨٤ ٤٧. الصبر في شهر رمضان
- ١٨٧ ٤٨. مشروعية الزكاة وأداؤها في شهر رمضان
- ١٩٠ ٤٩. تضحية إبراهيم وتضحية الصحابة
- ١٩٣ ٥٠. يوم عيد الأضحى تذكار لإبراهيم عليه السلام
- ١٩٨ ٥١. خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
- ٢٠١ ٥٢. خطبة عيد الفطر
- ٢٠٦ ٥٣. خطبة عيد الأضحى
- ٢١١ ٥٤. الخطبة الثانية
- ٢١٣ ٥٥. خطبة النكاح